رواية

ظلال القدس وسيف غزة

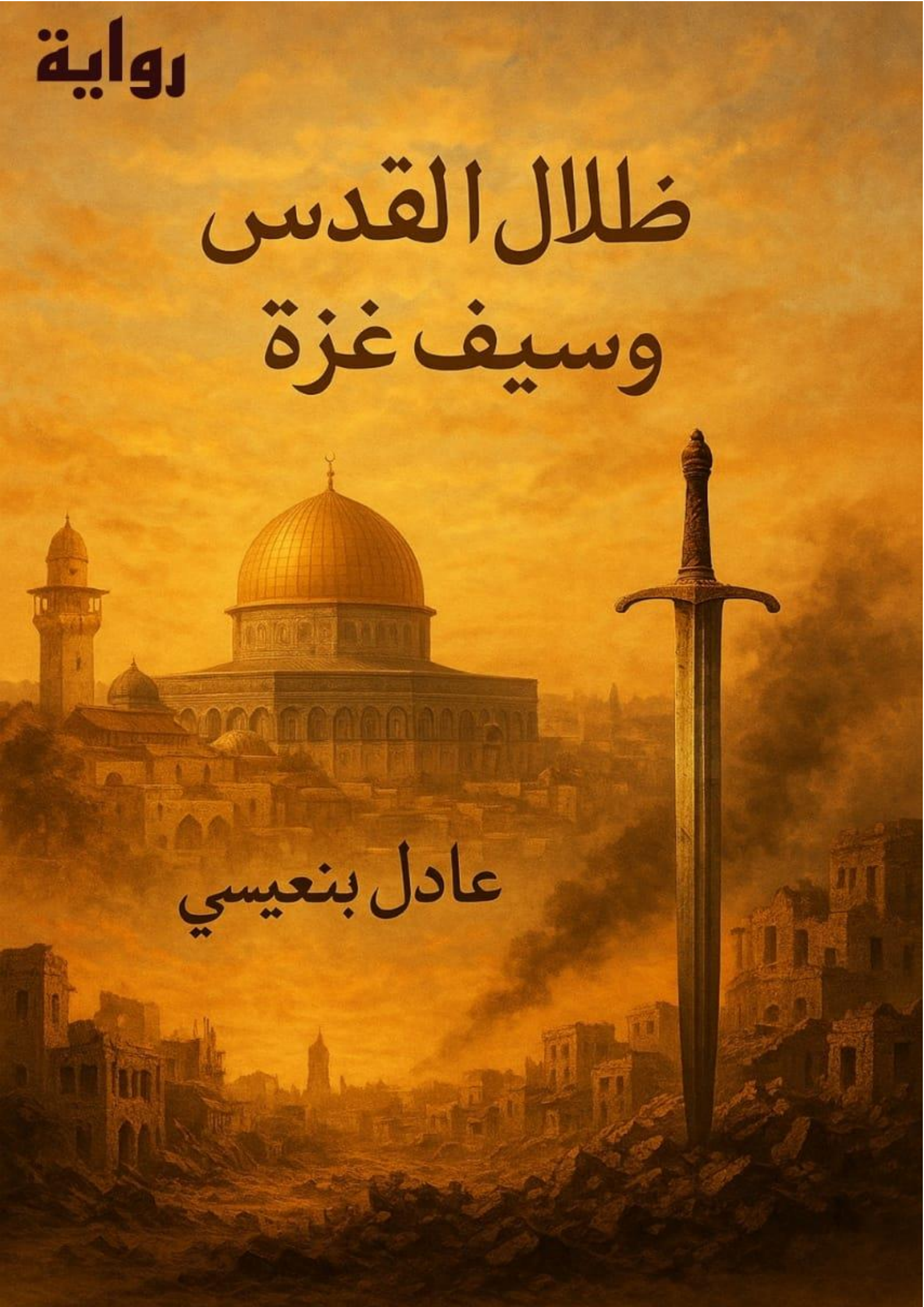

عادل بنعيسي

إهداء

إلى كل روح صمدت، وكل قلب نبض بالأمل،
إلى من زرعوا الأرض بالحب، والكرامة، والإرادة،
إلى أهالي غزة، الذين لم ينكسروا رغم الرياح العاتية،
إلى كل من قاوم واستمر في الحلم،
إلى الأجيال التي ستواصل ما بدأه الأجداد،
إلى كل من يزرع الأمل في الحقول المدمرة،
إلى أولئك الذين لن ينسوا أبدًا أن **الحرية** لا تأتي إلا بالصمود،
أهدي هذه الكلمات.

ولتظل **غزة** دائمًا، **رمزًا للكرامة، للصمود، وللأمل الذي لا يموت**.

مقدمة الرواية: "مدخل من الغيب"

في الليلة التي غطّت فيها السماءَ غيومٌ بلا لون، وسكنت الريح كأنها خائفة، سقط شيء من السماء في وادٍ ضائع بين غزة والقدس.

لم يكن نجمًا، ولم يكن نارًا. كان كأنه ظلٌّ يتحرك وحده.

اقترب راعٍ عجوز يُدعى "داوود"، كان يعرف كل ما تمشي عليه قدم في تلك الأرض، لكنه لم يعرف ما رآه تلك الليلة. اقترب وقال وهو يضع يده على صدره:
" –اللهم اجعلها رؤيا لا بلاء".

من وسط الغبار، خرج شاب في ثياب غريبة. عينيه تحملان ألوانًا لا يعرفها زمن داوود. لم يكن يعرف لغته، لكن الأرض فهمته.

نظر إلى المدينة البعيدة، وأشار إلى جهة القدس، وقال بكلمات مرتجفة:
" –النبوة لم تنتهِ... والصوت لم يُكمَل بعد".

ثم فقد وعيه.

ولم يعلم أحد أن هذا الشاب، الذي لا يعرف من أين أتى، سيصبح الراوي الخالد، شاهِدًا على كل حرب، كل خيانة، كل دم، وكل صلاة تُرفَع على حجارة القدس، وركام غزة.

✨الجزء الأول :**جذور النبوة والنار**

في البدء... لم تكن القدس

"قبل أن تُخلَق الحجارة... كانت الأرض تتنفس وحدها.
وقبل أن تضع الجيوش أقدامها على التراب... كانت القدس حلمًا في عيون الملائكة."

لم تكن القدس في أول الزمان مدينة، بل كانت **كلمة**.
نُقشت في ألواحٍ من نور، وأُلقيت في قلوب الأنبياء واحدًا تلو الآخر.
منذ أن مشى إبراهيم عليه السلام في أرض كنعان، ورفع يدَيه بالدعاء،
أصبحت الأرض تعرف اسمه، وتنتظر وعدًا لا تعرف موعده.

كانت هناك **شجرة زيتون عظيمة**، يُقال إنها نبتت من دمعة سقطت من
عين آدم حين هبط من الجنة.
تلك الشجرة كانت تحفظ في جذورها أسرارًا لا تُقال، ولا يقرأها إلا من
بُعث له "نور النبوة والنار" — خليط من الحكمة والمعاناة.

في ظلال تلك الشجرة، وُلد أول "الحافظين" — رجلٌ بلا زمن، لم يُعرف
له اسم، فقط يُشار إليه بلقب: **"الراوي الخالد"**.
كان يمشي بين الأزمنة، يرى الفتح قبل وقوعه، ويرى الخيانة قبل أن
تُولد.
لكن الناس لا يرونه إلا في الأحلام، أو في لحظة الموت.

.

في زمن الفاروق: حين سجد الحجر

.كان عمر بن الخطاب قادمًا من المدينة
.فتحت القدس أبوابها له لا بالسيف، بل بالعهد
دخلها في تواضعه العظيم، لا فارسًا على جواد، بل راكبًا دابة يتناوب على
.ركوبها مع خادمه

لكن ما لم تُسجله كتب التاريخ، أن عمر حين دخل المدينة،
.توقفت الريح، وسجد حجر في قلب الساحة
كان ذلك الحجر – كما رُوي لاحقًا – قد سجد مرة واحدة فقط، يوم وُلد
عيسى عليه السلام، ومرة ثانية حين رُفِع إلى السماء،
.وهذه كانت المرة الثالثة

اقترب منه الراوي الخالد — في هيئة شيخ كنعاني يبيع التمر — وهمس
:في أذن عمر

المدينة أُعطيت لك، ولكنها لا تُهدى إلا للقلوب النقية. حافظ عليها... "
".فستُنتَزع ذات يوم، ويُقتل فيها الأطفال ويُهدم الأذان

.لم يلتفت عمر، لكنه شَعَر أن شيئًا لا يُرى قد مَرّ بين ضلوعه
.وكتب عهده لأهل القدس، عهد الأمان
وترك في المسجد حجرًا صغيرًا، نُقش عليه حرف لا يُقرأ إلا في آخر
.الزمان

غزة... حين بكت الشام

في غزة، كانت فتاة تُدعى **زهراء** ترى أحلامًا غريبة.
ترى نارًا تخرج من بحرها، وترى صليبًا مكسورًا يُطارد هلالًا باكٍ.
تروي لأبيها، فيقول: "هذه وساوس الليل، نامي يا ابنتي".

لكن زهراء لم تكن فتاة عادية.
كانت من نسل امرأةٍ مرّت على يد موسى في سيناء،
وكانت عروقها تحفظ ذبذبات من الطور، ورجفة الوحي.

ذات ليلة، جاءها حلم فيه فارس مغطى بالنار، لا يُرى وجهه، فقط صوته:

"زهراء... احفري في المكان الذي يُضيء ليلاً ولا نار فيه. هناك، ستجدي السيف".

"أي سيف؟"

"سيفٌ لم يُستعمل بعد... لكن سيُستَخرج حين تمتلئ الأرض دماً، والسماء دُعاء".

صحَت، ويدها على قلبها، وفي عينيها يقينٌ لم تعرف له اسمًا.

.الفارس القادم من الغيب

وفي أطراف المدينة، جاء ذلك الشاب الغريب — **الذي سقط من الغيب في المقدمة السابقة** —يُلقب نفسه بـ"ساجي."
لا يعرف من أين أتى، لكن يعرف كل شيء عن الماضي.
حين رأى القدس لأول مرة، انحنى على الأرض، وكأنها أمّه.
سمع في داخله صوتًا يقول:

"أنت الوصل.
أنت من سيحمل الرواية عبر الحقب.
وكل من يقاتل لأجلها، سيَراك في أحلامه، ولن يعرف أنك حقيقي أو خيال".

ساجي سيظهر في كل الأزمنة. في هيئة حكيم، أو طفل، أو مقاتل مجهول، أو عابر سبيل.
لكنه سيبقى يحمل جذور النبوة... ويمشي على جمر النار.

.

نهاية الجزء الأول – الوصية الأولى

في نهاية هذا الجزء، يترك الراوي الخالد أول وصية في مكان مخفي داخل قبة الصخرة.
الوصية نُقشت بلغة لا تُقرأ إلا إذا نظر القارئ بقلبه.

نص الوصية:

"القدس لا تُفتح بالسيوف وحدها، بل بالصدق والدموع.
احذروا من يُقاتل لأجل مجدٍ شخصي، فهو أول من يُسقِط راية النور.

إذا دُمِجت غزة بالقدس، ووقف الطفل جنب المحارب،
عندها فقط... تبدأ الحكاية الحقيقية".

الجزء الثاني :صليل السيوف ونداء الأقصى

الفصل الأول: الصليبي الأول – وجه العدو

لم تكن السماء فوق القدس كما كانت،
الغيم أصبح أسودًا، ورياح البحر لم تعد تغني، بل تزأر.

كان ذلك العام، عام الألم.
عامٌ اجتمع فيه أمراء أوروبا، وقرروا أن الله قد سلّطهم على المدينة،
كأن السماء نزلت لتُختَطف، لا لتُقدَّس.

في أحد أزقة نابلس، كان فتى يُدعى **يونس** يُخفي وجهه تحت عباءة مسافر.
عينيه خضراوان كعيون أهل الشمال، لكنه يتكلم العربية بطلاقة.
كان جاسوسًا... أو هكذا ظنّه الصليبيون.

لكنه كان شيئًا آخر تمامًا.
شابًا من الساحل الشامي، أُسر صغيرًا، وتربى في ديرٍ في إيطاليا، حتى غسلوه بالأناشيد، وأطعموه خبزَ الكراهية.
لكن قلبه ظل يتكلم بلغة أخرى، لغة الأرض التي لا تُنسى.

حين عاد ضمن صفوف الحملة الصليبية، وكان يُدعى "جون"،
لم يدرِ أن القدر سينقلب عليه،
وأن صليل سيوفهم سيوقظ فيه اسمه القديم :**يونس**.

رأى بعينيه ما لم تحتمله الروح:

- حرق مسجد الأقصى، وقتل من احتمى بداخله
- ضحك الفرسان وهم يغسلون خيولهم بدماء العزّل
-
- *امرأة تصرخ" :الله لا يترك القدس بلا صوت"!*

في تلك اللحظة... قرر يونس أن يُصبح الصوت

🔥الفصل الثاني: رسائل من تحت التراب

في غزة، حيث الأخبار تصل متأخرة،
وصلت الرسالة:

"الأقصى في يدهم. والسيوف بكت".

ارتجف قلب زهراء، ورأت منامًا جديدًا:
رأت صلاح الدين يمشي حافيًا على رُكام القدس، يكتب أسماءً على جدار من دم.

استيقظت وكتبت الرسالة التالية:

"يا من تقرؤون كلماتي...
لا تصدقوا أن الأرض تُؤخذ للأبد.
القدس لها نبض، فإذا توقّف... فذلك لأن القلب لم يعد يستحق.
أعيدوا الوضوء بالصدق، والنية بالجهاد،
واذكروا أن الحجر نفسه ينتظر من يحمل الرسالة".

وضعتها في درج خشبي بجانب دفترها الأسود،
وذهبت إلى أبيها وقالت:
" –أريد أن أتعلم السيف".
ضحك وقال:
" –ومَن الفارس الذي سيعلمك؟"
أجابت بهدوء:
" –ساجي سيعود قريبًا".

لم يكن أبوها يعرف من هو ساجي.
لكن الأرض، كانت تعرف.

مشهد ختامي للفصلين

في القدس، كان **ساجي** يقف على سور المدينة القديمة، بثوبه الرمادي،
ينظر إلى الدماء التي غسلت الأحجار، ويهمس:

"بدأت الحرب...
لكن النهاية لم تُكتَب بعد".

من خلفه، ظهر **الراوي الخالد**، بلحيةٍ بيضاء وصوتٍ كأنه خرج من التوراة والقرآن معًا،
وقال:

"إذا ارتفع صوت السيوف... فعليك أن تُطلق نداء الأقصى".

"وكيف؟"

"بالحبر... قبل أن يصرخ الحديد".

الفصل الثالث :ولادة البطل – صلاح الدين بعين الخيال

"ليس كل بطل يولد من سيف...
بعضهم يُصاغون من دموع الأمهات، ومن صدق الدعاء في جوف الليل".

في مدينة تكريت، بين الجبال والأنهار،
وُلد طفل صغير، أطلقوا عليه اسم **يوسف**.
لكن السماء لم تكن تناديه بهذا الاسم.

كانت تناديه بلقبٍ أقدم...
لقبٌ لا يُمنَح، بل يُكتَب في جبين القَدَر:
صلاح الدين.

كانت أمه تُرضعه وهي تهمس في أذنه:

"يا بني، لا تكبر لأجل المجد...
بل لأجل من لا يجدون مجدًا سوى في ركعتين، وسجدة في الأقصى".

كبر يوسف في زمنٍ مليء بالتشويش:
الممالك الإسلامية متفرقة، السلاجقة في صراعات،
والصليبيون يحكمون القدس بقبضةٍ من لهب ودم.

لكن في قلبه، كان هناك شيء لا يتشوه...
رؤيا.

رأى في منامه مدينةً تئن،
ورأى سيوفًا كثيرة تحميها، لكن لا أحد يرفعها.

فقال له الراوي الخالد، الذي زاره في المنام في هيئة فارس مغطّى بالضوء:

"ستحمل السيف...
لكن أعظم جهادك سيكون في أن تبقى نقيًا، حين يفسد كل شيء".

✨نبوءة الأم – وقلب الطفل

في أحد الأيام، ضمّت أمه يوسف وقالت له:
" –إذا صار لك جيش، فاجعله يعرف الله قبل أن يعرف القتال".
أجابها الطفل الصغير:
" –وكيف أحارب إن لم أكره عدوي؟"
قالت:
" –لا تحاربه لأجل كرهك له، بل لأجل حبك لمن يقف خلفك".

كانت تلك الجملة مفتاح حياته كلها.

لاحقًا، حين أصبح قائدًا، رفض قتل الأسرى،
وحين سجد في الأقصى بعد فتحه، بكى،
لا من النصر... بل لأنه تأخر.

مشهد من قلب المعركة – خيال وسط النار

في ليلة معركة حطين،
كان الجنود نيامًا... والنجوم تشهد.

وقف صلاح الدين وحده،
يرفع كفيه في جوف الليل ويهمس:

"يا رب، إن كنت تُحب القدس كما نحبها،
فأعنا على أن نكون أهلًا لها".

في السماء، تحرك الغيم،
وفي قلبه، سقط خوف لم يعُد له مكان.

في هذه الليلة...
أحسَّ أن سيفه ليس سيفًا فقط، بل **وعد**.

لقاء غريب

بعد المعركة، وبينما هو يمشي وسط الميدان،
ظهر له شاب بملامح عربية ولهجة شامية، لكنه لا يبدو من هذا الزمن.

قال له:
" –أنت صلاح الدين، وأنا من سيحمل حكايتك".
" –ومن أنت؟"
" –أنا ساجي... لا أنتمي لزمن، بل لرواية".

ابتسم صلاح الدين وقال:
" –الرواية؟ وهل ننجو فيها؟"
قال ساجي:
" –لن تنجو أنت فقط... بل كل من يشبهك".
ثم اختفى كما ظهر.

وسجل صلاح الدين ذلك في دفتره الشخصي:

"جاءني في المساء فتى، كأن عينيه فيها أزمنة.
لم أفهم من هو... لكني شعرت أن ما أفعله، لن يُنسى".

⚔️ الفصل الرابع :ساجي ويونس – الانقلاب داخل جحيم الصليبيين

"أحيانًا، لا تحتاج الأرض إلى جيشٍ من السيوف...
بل إلى رجلين، لا يعرفان الهزيمة في أرواحهما".

كانت الليلة باردة فوق تلال *الرملة*،
خيام الصليبيين تتراصّ كأنها غابة من الظلال،
والحراس ينامون على خناجرهم كما ينام اللصوص على الكنوز المسروقة.

في قلب ذلك المخيم، كان **يونس** –الذي يُنادى بينهم بـ "جون" – يتظاهر بالنوم.
لكنه في داخله، لم يكن ينام منذ أسابيع.

كل ليلة، يرى وجه القدس يصرخ فيه،
ويرى أمه الغائبة، تبكي وهي تغسل قدميه وتقول:

"لا تنسَ من أين جئت، يا بني... حتى لو سمّوك بغير اسمك".

بداية التحوّل

منذ المعركة الأخيرة في الساحل، بدأ يونس يرى رؤىً غريبة...
شخصٌ يشبهه تمامًا، لكنه أقدم، وأعمق،
يمشي داخل القدس القديمة، يُمسك دفترًا أسودًا،
ويكتب أسماء الشهداء، ويبتسم وهو ينظر للسماء.

وفي إحدى الليالي، بينما كان يونس يراقب تحركات الفرسان،
سمع صوتًا خلفه:

"الروح لا تُباع، حتى لو غُسِلت بالماء الأوروبي".

استدار بسرعة...
فرأى شابًا لا يشبه أحدًا.
بثياب رمادية متّسخة، وبعينين سوداوين، فيها عُمق لا يُقاس.

قال له الرجل:

" –هل تعرف من أنا؟"
" –لا... لكنك لست من هنا".
" –ولا من زمنك".

اقترب منه الشاب، ثم جلس بجانبه كأنه يعرفه منذ الأزل.

" –اسمي ساجي... وأنا لا أتبع زمنًا معينًا.
أجوب الحكايات... وأبحث عن من لم يفقدوا حقيقتهم، حتى لو تنكروا لها".

صمت يونس للحظات، ثم همس:

" –أنا خائن".
" –لا، أنت ضائع... وهناك فرق".

ثم أخرج ساجي شيئًا من عباءته، كان صندوقًا صغيرًا، فتحه فظهر فيه تراب، ورقعة خضراء صغيرة.
قال:

"هذه من تراب القدس، قبل أن يدوسها الحقد.
خذها... وضعها في صدرك، ودعها تذكّرك".

يونس، الذي لم يبكِ منذ طفولته،
أحسّ بشيءٍ في صدره يُكسر... فانهار.

لحظة التحوّل

في الليلة نفسها، بدأ الانقلاب.

يونس كتب رسالة سرّية، مررها إلى أحد الجنود المسلمين الأسرى، فيها أسماء نقاط الضعف داخل المعسكر، وموعد الحركة.

لكن لم يكن وحده...

ساجي، ذاك الغريب، بدأ يتحرك بين الخيام دون أن يشعر به أحد،
يُعطّل الأسلحة، يُحرّض العبيد والمرتزقة،
يرسم على الجدران عبارات بلغة لا يفهمها الصليبيون:

"القدس تنادي، والموعد يقترب".

وفي مساء اليوم التالي، اشتعلت نار داخل مخزن السلاح،
ثم بدأت الخيول تنفلت،
وبدأ الجنود يصرخون: "خيانة... هناك خائن بيننا"!

يونس لم يهرب... بل دخل إلى خيمة القائد وأمسك خنجره، وقال له:

"أنا من علّمتك الصلاة ذات مرة، حين كنت طفلًا في الدير.
الآن، علّمتك المقاومة".

وقبل أن يطعنه، دخل عليه ساجي، وأوقفه.

قال:

" –لا تقتل... النصر لا يُبنى على انتقام.
بل على صدق اللحظة".

ثم اختفيا معًا، تاركين خلفهم نارًا تُلهب السماء،
وعلامة على أن زمن الصمت قد انتهى.

نهاية الفصل

في فجر اليوم التالي،
استيقظت زهراء في غزة، على حلم غريب:

رأت فارسًا بلباس رمادي، ومعه فتى بعيون زرقاء،
يحملان مفاتيح من نار، ويكتبان على الحائط:

"القدس لا تُؤخذ إلا إذا سقط الحياء من أهلها".

ففتحت دفترها وكتبت:

"هناك رجلان... أحدهما من الزمان، والآخر من الحكاية.
حين يجتمعان، تبدأ الأرض بالكتابة من جديد".

الفصل الخامس :**زهراء تُشعل الكلمات – غزة حين تبدأ الحرب بالحبر**

"في زمن السيوف، وُجدت امرأة تقاتل بالحبر...
وفي زمن الخذلان، كانت كلماتها تُسقط جدرانًا أقوى من الحصون".

غزة – وجهُ الحصار القديم

في حي الشجاعية، قرب أطلال مسجد قديم دُمّر ثم بُني ثم دُمّر،
كانت **زهراء** تسير كل صباح على ركامه،
تضع يدها على الحجارة، وتهمس:

"أنتم لم تسقطوا... فقط نُقلتم إلى الذاكرة".

زهراء لم تكن مُعلمة تقليدية.
كانت تُدير صفًا سريًا لأطفالٍ تعلّمهم شيئًا واحدًا:
كيف يكتبون عن القدس كما لو أنهم زاروها كل يوم.

كان الفصل تحت الأرض، في قبو بيتها،
يُضاء بثلاثة مصابيح فقط:
–واحد للضوء
–وواحد للأمل
–وواحد يُشعل الشعر

تكتب معهم كلماتًا مثل:

"عمي يا أقصى، لا تخف من الوقت... نحن نحسب الزمن بالنبض".
"غزة ليست محاصرة، بل هي تحاصر النسيان".

المقاومة بالحبر

في كل حصة، كانت تُسجل القصائد والمقالات في دفاتر سوداء، ثم تُرسلها عبر نفقٍ صغير تحت الأرض، إلى رجل يُدعى **الشيخ شرف**، الذي يوزّعها على أحرار الضفة، وعلى طلبة جامعات القدس.

تنتشر كلماتها كالعدوى،
حتى بدأ الجنود الصهاينة يقرأون المنشورات ويقولون:

"هناك حرب من نوع آخر... سطور تُخيفنا أكثر من صواريخهم".

وفي أحد الأيام، جاءها طفل يُدعى **سامي** وقال:

" –معلمتي، كتبت قصيدة عن الأقصى،
لكن لا أعرف إن كانت جميلة"...
أخذت الدفتر، قرأت، ثم ابتسمت والدمع في عينيها:

"إنها ليست جميلة فقط...
إنها سلاح يا سامي".

فأخذت القصيدة، وعلّقتها على الحائط،
وكتبت فوقها بخطّ كبير:

"من هنا تبدأ الثورة".

حلم الليل الطويل

في ذات ليلة، نامت زهراء ورأت رؤيا:
كانت تسير في شارع صلاح الدين في غزة،
لكن كل الأبنية كانت من ورق، وكل الناس صامتون.

ثم ظهر لها **صلاح الدين نفسه**، لكن بثياب أهل غزة،
يحمل دفترًا وقلما لا سيفًا، ويقول:

" –ما بُني بالسيف... يُرمّم بالكلمة.
اكتبي يا زهراء... اكتبي حتى ينهار الجدار".

استيقظت وهي تبكي،
ورسمت المشهد في دفترها،
وكتبت:

"سيأتي يوم...
تكون فيه القصيدة جسرًا من غزة إلى القدس".

نهاية الفصل

كانت زهراء تعرف أن الكتابة لا تكفي،
لكنها تؤمن أنها البداية.

وفي صباح اليوم التالي، فتحت باب بيتها،
ووجدت تحت العتبة رسالة من مجهول، مكتوبة بخطٍ قديم:

"الكلمة وصلت... وساجي قادم".

✨**شخصية زهراء – الكاتبة المناضلة من غزة**

🌸 الخلفية:

زهراء ولدت في غزة، في حي الرمال، من عائلة متوسطة الحال،
والدها كان مدرسًا للتاريخ، ووالدتها كانت تبيع المطرزات الفلسطينية.
عاشت طفولتها في ظل القصف والخوف، لكن قلبها ظل يهوى الكتب،
كبرت وهي تحلم بأن تكون "كاتبة حرّة"، لا تقيدها جغرافيا ولا جيوش.

في سن الـ15، فقدت أختها في قصف على المدرسة...
ومنذ ذلك الحين، تغيّر شيء فيها.
بدأت تكتب.
لا عن الحزن، بل عن **كيف يحوّله الإنسان إلى بذرة مقاومة**.

الشخصية:

- **الذكاء :**زهراء ليست فقط مثقفة... بل لديها "ذكاء عاطفي" نادر، تعرف متى تصمت ومتى تقول جملة تغيّر مَن أمامها.
- **الحافز الداخلي :**ليست مدفوعة بالغضب، بل بالحب... حبها للأطفال، للقدس، لأمها الراحلة.
- **الضعف الخفي :**في داخلها خوف دائم أن تُنسى... أن يُمحى أثرها كما يُمحى كل شيء جميل في غزة.
- **سلاحها :**دفترها الأسود، الذي يحتوي على "حكايات لم تُكتب بعد"، وقلم أزرق ورثته عن والدها.
- **شخصيتها في السرد :**صوت ناعم لكن قاطع، لا تصرخ، لكنها تهز القارئ بكلمة واحدة فقط.

الفصل السادس :يوم التقاء الظلال – أول لقاء بين زهراء وساجي

"حين يلتقي من يكتب مع من يحمل الحكاية،
تنفتح أبواب لم تُطرق من قبل،
وتتكلم الأرض... لا الناس".

بداية الغياب

كانت زهراء تجلس في قبوها، تُحضّر درس الغد.
لكن القلم لا يكتب.

أحست وكأن الكلمات اختبأت،
كما تختبئ العصافير قبل العاصفة.

سمعت طرقًا على الباب...
طرقات ثلاث، ثم سكون.

فتحت الباب بحذر،
فوجدت شابًا بثياب رمادية، يقف بثبات لا يشبه أهل هذه المدينة المُرهقة.

قال:

" –زهراء؟"
" –نعم؟"
" –أنا من كَتب لك الرسالة... ساجي".
" –أنت من؟"
" –من جاء ليقرأ ما كتبتِ، ويُعيده إلى من ينتظر هناك".
" –أين هناك؟"
" –في المستقبل... وفي الماضي... وفي القدس التي لم تقع بعد".

الحوار

دخل ساجي، نظر إلى الدفاتر المكدسة، والقصائد المعلقة.
توقف عند واحدة مكتوبة بخط طفل، وقال:

"هذه ليست كلمات فقط...
هذه أحجار، ترصين بها الطريق إلى بيت لم يُبْنَ بعد".

جلست زهراء أمامه وقالت:

" –لماذا جئت الآن؟"
" –لأن الوقت ضاق... ولأنك كتبت شيئًا غير مسموح".
" –أي شيء؟"
" –أن المقاومة تبدأ بالحبر".
" –وهل تُخيفكم الكلمات؟"
" –هي لا تخيفنا... لكنها تُفزع من يسرقون الزمن".

ثم أخرج من عباءته دفترًا جلديًا، فتحه، فظهرت داخله صفحات كتبها بخط غير مفهوم،
لكن في إحداها، كانت هناك جملة كتبتها زهراء قبل أسبوع:

"سيمرّ رجل يشبه القصيدة... فلا تسألوه عن اسمه، بل عن حكايته".

تجمدت زهراء وقالت:

" –من كتب هذا؟"
" –أنتِ... قبل أن تولدي".

✨اللحظة المفصلية

سكتا قليلًا...
ثم قال ساجي:

" –زهراء، أنا لا أظهر لكل أحد.
أنت كتبت شيئًا يوقظ من ماتوا منذ قرون.
والآن... هناك من ينتظر كلمتك القادمة، لتبدأ المرحلة التالية".

سألته:

" –أي مرحلة؟"
" –أن تُحاولي إيقاظ القدس من تحت الأنقاض، لا فوقها".
" –كيف؟"
" –ستسافرين".

ضحكت بسخرية:

" –أنا في غزة... أيّ سفر تقصد؟"
" –ليس سفر الأقدام... بل سفر الأرواح".

ثم أمسك يدها، ووضعها على دفتره،
وفجأة، شعرت بحرارة تنتقل من الورق إلى يدها،
ورأت رؤيا عجيبة:

رأت **القدس القديمة**، لكن بلون ذهبي،
ورأت صلاح الدين يركض، لا يقاتل، بل يكتب،
ورأت طفلًا يبني مسجدًا من الورق.

نهاية الفصل

استيقظت فجأة...
ووجدت نفسها وحدها.

لا ساجي، لا دفتر جلدي،
لكن على الطاولة، كان هناك قلم جديد،
وملاحظة تقول:

"إن بدأتِ الكتابة بهذا القلم...
فلن تعودي كما كنتِ".

رفعت القلم، ونظرت إلى السماء وقالت:

"فليكن... إن ضاع الجسد،
فلتبقى الكلمة تمشي عنه".

✨ الفصل السابع :أصواتٌ من الطين والنار – عودة الرواة الصامتين

"هناك أصوات لا تموت...
فقط تنتظر من يسمعها من جديد".

🏰 أول الخيوط – عبدالمهيمن بن قُدامة

عبدالمهيمن لم يكن مجرد رجل عادي.

كان حفيد تلميذ من تلاميذ الصحابي **عبادة بن الصامت**، أول من سكن القدس بعد الفتح الإسلامي.
ورث عنه شيئًا غريبًا :**ذاكرة لا تموت.**

يعيش في القرن الخامس الهجري، بين أسوار المدينة قبل اجتياح الصليبيين،
وفي الليل، يسمع صدى صلواتٍ من عهد عمر بن الخطاب،
وفي النهار، يرى الظلال الزاحفة نحو المدينة... ظلال الفرنجة، صليل سيوفهم، رائحة الدم القادمة.

كان عبدالمهيمن يكتب، كما أوصاه جدّه،
لكنه لا يكتب بالحبر، بل على الطين، ثم يُجففه في النار، ويُخبّئ الألواح في بئر سرّي تحت قبة الصخرة.

وكتب ذات ليلة:

"ستأتي امرأة من غزة، لا تعرفني،
لكنها ستكمل ما بدأناه، بقلمٍ لا يعرف الخوف".

الرؤية – مريم بنت القدس

بعد قرون، في القدس الحديثة،
ولدت فتاة في حي الشيخ جراح... اسمها **مريم**.

منذ طفولتها، كانت ترى رؤى لا تفسير لها:
–ترى رجالًا بعمائم يركضون في الطرقات ويهمسون بآيات
–ترى فتاة في غزة تكتب
–وترى صبيًا يحفر بين الأنقاض بحثًا عن شيء لا يعرفه.

كانت مريم تظن أنها مجنونة،
لكن جدّتها قالت لها ذات مرة:

"أنتِ لستِ مجنونة...
القدس تكلّمك، ولا يسمعها إلا من طَهّر قلبه بالخوف".

بدأت مريم تكتب ما تراه، وتضعها تحت وسادتها،
لكن كلما كتبت، زادت الرؤى، وزاد ألمها.

🧒 الطفل – نائل من تحت الركام

في ذات الأزقة التي سارت فيها مريم،
كان هناك طفل يُدعى **نائل**.

وُلد في القدس، لكنه لا يذكر إلا الحروب.
يعيش في حيّ منهار، بين الأنقاض،
ويملك شيئًا وحيدًا ورثه عن أبيه :**علبة معدنية تحوي شيئًا لا يُفتح إلا حين "يحين الوقت."**

كل ليلة، يسمع صوتًا في الحلم يقول له:

"لا تبحث عن السلاح...
ابحث عن الصفحة الناقصة".

وكان يرى فتاة من غزة لا يعرفها،
ورجلًا رماديًا اسمه "ساجي"،
ورقمًا مكتوبًا على الجدار**(7:17)** :

تشابك الأزمنة – ساجي يعود

ساجي، في صمته الأزلي،
كان يراقب الجميع... لا ليتدخّل، بل ليصل بين النقاط.

رأى عبدالمهيمن يدفن ألواحه في بئر الصخرة.
رأى زهراء تكتب بجوار الأنقاض.
رأى مريم تذرف دموعًا لا يفهمها أحد.
ورأى نائل يجلس وسط الخراب، يفتّش عن شيء يشبه الروح.

وفي لحظة واحدة،
جمعهم في رؤيا واحدة:

– عبدالمهيمن يسلم مريم لوحًا من طين عليه نقش غامض.
– مريم تُعطيه لساجي، وتقول: "زهراء تعرف القراءة".
– نائل يفتح علبته، ويجد فيها ورقة مكتوب عليها:

"الصفحة الناقصة... هي أنت".

نهاية الفصل – بداية الالتقاء

زهراء، بعد رؤيتها العميقة، تبدأ بكتابة قصة لا تعرف نهايتها،
لكن في كل سطر، يظهر اسم **نائل**
وفي كل حلم، ترى **مريم**
وفي كل ظل، ترى وجهًا يشبه **عبدالمهيمن**

وساجي، كالعادة، لا يقول شيئًا...
فقط يسير إلى مكان جديد... يحمل دفتره،
ويكتب:

"لم نعد نحتاج إلى أبطال...
بل إلى قلوب لا تخاف أن تتذكّر".

✨ الفصل الثامن :نبوءة الطين – حين تكتب الأرض على جسدها

"المدن لا تموت... بل تخفي قصائدها في العظام،
وتنتظر من يعيد قراءتها، بحبر الخوف والأمل".

– 📜 عبدالمهيمن بن قُدامة: الرجل الذي يكتب في الظل

كان الليل يهبط على القدس كما يهبط الحزن على قلب أمٍّ فقدت أبناءها واحدًا تلو الآخر.

في ساحة ضيقة خلف الجامع القبلي، جلس **عبدالمهيمن بن قُدامة**، يغمس إصبعه في طين خاص أعدّه من تراب باب الرحمة وماء بئر زمزم الذي جلبه جدّه.

وراح يكتب...

ليس بلغة معروفة، بل برموز ابتكرها مع جدّه حين كان صغيرًا، لغة لا يفهمها إلا من وُلد وفي قلبه "حنين إلى زمن لم يعشه."

كتب على اللوح الطيني:

"ستأتي فتاة من غزة... يسبقها الحريق ويقودها القلم.
وستكتب بدمها صفحة ناقصة،
فإن قرأها طفل من القدس، تمّ الزمان،
وارتفعت الحكاية من تحت الركام".

كان عبدالمهيمن قد رأى رؤيا غريبة قبل أيام،
رأى فيها المدينة تُغتصب، ثم تُشفى، ثم تُغتصب من جديد،
ورأى امرأة بثوب أبيض تكتب في الظلال،
ورجلاً رماديًا يحمل دفترًا يلمع في الظلام.

ترك الألواح في البئر،
وراح يبكي لأول مرة منذ وفاة والده.

- مريم بنت القدس: "أنا التي ترى ما لا يُقال"

في القدس القديمة،
كانت **مريم** جالسة على سطح بيتها، تغزل قماشًا مطرزًا،
لكنها كانت تسرح بعيدًا...

رأت في الحلم رجلًا يكتب على الطين،
وسمعت صوته يقول:
"سلّمي اللوح للظل،
فالظل يعرف الطريق إلى غزة".

استيقظت فزعة،
لكن ما أرعبها لم يكن الحلم، بل اللوح الطيني الصغير الذي وجدته على وسادتها.

من أين جاء؟
لم يكن هناك بالأمس.

حملته، وذهبت إلى جدّتها،
لكن الجدّة فقط ابتسمت، وقالت:

" –ها قد بدأ الطريق... اصمتي واكتبي، فالحبر صار في عينيكِ".

🧒 نائل: "الصبي الذي كُتبت فيه المدينة"

في حيّ سلوان، كان **نائل**، الفتى البالغ 11 عامًا،
يحفر في الأنقاض مع رفاقه بحثًا عن خردة ليبيعوها،
حين اصطدم معول صغير بشيء صلب...

فتح التراب، ووجد علبة معدنية مغلقة،
فتحها، فوجد ورقة قديمة جدًا، مكتوب فيها:

"إذا وجدتَ هذه الرسالة، فأنت الصفحة الناقصة".

أسفلها، كان هناك رسم لطفل يمسك بيد امرأة...
المرأة كانت تشبه زهراء تمامًا،
والرجل... لا وجه له، فقط ظل طويل ودفتر جلدي.

ساجي: "من ينسج الخيوط بين الصمت والزمن"

في مكان لا يُعرف أين، ولا متى،
جلس **ساجي** يقرأ دفاتر من عصور مختلفة،
صفحات كتبها عبدالمهيمن، زهراء، ومريم...
وقصاصات مزقتها حروب لا تُذكر.

أغمض عينيه،
فانفتحت أمامه ثلاثة مشاهد متزامنة:

1. عبدالمهيمن يدفن ألواحه في بئر الصخرة.
2. مريم تسير في الأزقة وفي يدها لوحٌ لا تعرف معناه.
3. نائل يُخبئ ورقته تحت قميصه، ويهرب من الجنود.

فتح دفتره، وكتب:

"حان وقت الجمع...
فالقصيدة مبعثرة في ثلاثة قلوب".

– اللقاء المنتظر

في ليلة قمرية،
دخل ساجي على زهراء في القبو، ومعه ثلاث رسائل:

– واحدة من القرن الخامس، كتبها عبدالمهيمن.
– واحدة من مريم، مكتوبة بحبر دموعها.
– وواحدة من نائل، تحتوي فقط على رسم غامض.

وضع الرسائل أمام زهراء،
وقال لها:

"كل هؤلاء ينتظرونكِ...
ليس لتكتبي عنهم، بل لتكمليهم".

وقبل أن ترد، انفتح القبو من تلقاء نفسه،
ودخلت مريم... يتبعها نائل، يحمل بين يديه حجرًا كتب عليه:

"من عرف اسمه، وجد طريقه...
ومن عرف حكاية غيره، كتب نجاته".

نهاية الفصل:

زهراء، مريم، ونائل... جلسوا معًا لأول مرة.
ثلاثة أزمنة، ثلاثة قلوب، وثلاثة ظلال تتقاطع.

أمسك ساجي الدفتر، وسلمه لزهراء وقال:

"اكتبي الآن...
فالمدينة تهمس باسمك".

الفصل التاسع :صهوة الحصان – صلاح الدين ورسائل العابرين

"الحروب لا تُكسب بالسيوف فقط،
بل بالأصوات التي تأتي من حيث لا يُنتظر".

–ليلٌ من القلق

في سنة 583 هـ، كان **صلاح الدين الأيوبي** يجلس في خيمته على مشارف **القدس**.

الفتح اقترب، لكن شيئًا ما يقلقه...
ليس من الصليبيين، بل من الزمن نفسه.

في كل ليلة، يرى حلمًا غريبًا:

–يرى صبيًا في ثياب رثة يحمل علبة حديدية،
–يرى فتاة تكتب في قبو مضاء بشمعة،
–ويرى ظلًا رماديًا يحدّق إليه بصمت، ثم يبتسم.

في الليلة الثالثة، استيقظ على صوت غريب في الخيمة.

رجل رمادي، لا يُرى وجهه، يقف قرب طاولة الخرائط،
وفي يده دفتر جلدي مألوف.

قال صلاح الدين:

" –من أنت؟"

ردّ الرجل بصوت كالحلم:

" –أنا من يحفظ الحكايات... وجئت لأعطيك واحدة".

–الرسالة

فتح الدفتر،
وفيه رسالة مكتوبة بلغة لم يرها من قبل،
لكن ذهنه فهمها كأنها نُقشت في قلبه.

كانت تقول:

"أيها الراكب إلى القدس،
لا تُقاتل لتحرر، بل لتُعيد التوازن.
فثمة من سيأتي بعدك... يكمل الطريق الذي لن تستطيع أن تراه.
افتح البئر، تجد الطين، تجد القصة، تجد البذرة".

ارتجف صلاح الدين.

"البئر؟ أي بئر؟"
فردّ الرجل الرمادي: "ابحث تحت قبة الصخرة، فإن عبدًا كتب هناك رسائل من قبلك".

ثم اختفى... كما اختفى كل حلمٍ لا يُفهم إلا بعد فوات الأوان.

–كشف السر

في اليوم التالي، دخل صلاح الدين المسجد الأقصى سرًا،
معه واحد من ثقاته.

تحت قبة الصخرة، وجدوا لوحًا طينيًا قديمًا مغلفًا بقطعة قماش.

كان عليه كتابة قديمة... بلغة لا تُقرأ، لكنها مفهومة!

وكُتب فيه:

"هذه الحرب لا تبدأ من عندك... ولا تنتهي بك.
زهراء من غزة، ومريم من القدس، ونائل من الركام...
هم من سيعيدون ما بدأه عبادة، وما تمّه ابن قُدامة،
وما حلمت به أنت في صمتك".

–الرد

في خيمته تلك الليلة،
أمسك صلاح الدين قلماً من قصب، وكتب رسالة لا تشبه شيء كتبه من قبل.

قال فيها:

"إلى من سيقرأ هذا بعد قرون:
نحن لسنا المنتصرين... بل نحن البداية.
إن كنت تكتب في غزة، أو تحلم في القدس، أو تركض في الركام،
فاعلم أن السيف وحده لا يكفي.
اكتب... فكلنا نُبعث في كلمات بعضنا".

أمر أن تُدفن الرسالة في صندوق نحاسي، تحت حجارة قبة السلسلة.
وأمر من معه أن لا يُخبروا أحدًا... "فمن سيصدق؟"

العودة إلى زهراء

في الحاضر، كانت **زهراء** تقرأ من دفتر ساجي،
وفجأة، ظهر النص بخط جديد، لا يشبه ما قبله.

قالت:

" –ما هذا؟ لم أكتبه"!
ردّ ساجي:

" –إنه ردّ صلاح الدين...

وصلكِ الآن، لأنه لم يُكتب لكِ... بل كُتب فيكِ".

مريم شهقت،
ونائل دمعت عيناه... وكأنه يعرف صلاح الدين، كأنهما تقابلا ذات ليلة في حلم.

نهاية الفصل التاسع

ثلاثة أبناء للزمن،
جاءهم صوت رجل من قرونٍ مضت،
ليُذكّرهم أن طريقهم ليس اختراعًا... بل امتدادٌ لرؤية لم تُكتمل بعد.

مشهد جانبي – نائل والشيخ: "دمعة تحت الزيتونة"

في صباحٍ رمادي، بعد ليلة مطرية في القدس،
كان **نائل** يمشي وحده في أزقة حيّ باب حطة،
يحمل في جيبه العلبة الحديدية التي وجدها قبل أيام،
ويقلبها بين يديه كمن يخشى أن يفتح صندوق المعجزات قبل أوانه.

وقف عند زيتونة عتيقة في الزاوية،
فرأى شيخًا مسنًا، بثوب طويل أبيض، ولحية تشبه الغيم،
يجلس بهدوء على حجر مبلل، يسبّح بيد، ويحمل في الأخرى كتابًا لا يُقرأ عنوانه.

قال له نائل بتردّد:

" –السلام عليكم، سيدي".

رفع الشيخ رأسه وابتسم:

" –وعليكم السلام يا ابن الركام".

تعجب نائل... "كيف عرف؟"

جلس بجانبه في صمت، ثم سأل:

" –هل تعرف شيئًا عن هذه العلبة؟"

نظر الشيخ إليها، ولم يمسّها، وقال:

" –هي لك، لا لي. أنا فقط المفتاح... لا الباب".

ثم صمت لحظة، وقال:

" –أتدري يا بني... من كان أول من بكى عند الأقصى؟"

هز نائل رأسه بالنفي.

ابتسم الشيخ:

" –طفل، كان يبيع التين في السوق، أيام عمر بن الخطاب.
حين دخل المسلمون المدينة، ركض حتى الحائط الغربي،
وبكى... ليس فرحًا، بل لأنه لم يعرف لمن يشكر أولًا".

نظر نائل في عينيه، ثم همس:

" –هل تعرف اسمه؟"

أجاب الشيخ:

" –اسمه لا يُروى... لأن دمعته أصبحت جزءًا من حجارة المكان.
كل من بكى بعده... كان يُكمل بكاءه".

صمتا سويًا.

ثم أردف الشيخ:

" –إن دمعتك ستُكمل بكاء ذلك الطفل.
فلا تخف من أن تحزن... القدس لا تُفتح بالسيوف فقط،
بل بالدمع الذي لا يُنسى".

ثم نهض الشيخ... واختفى في الزقاق،
كأنه دخان صلاة قديمة.

ظل نائل جالسًا،
ينظر للعلبة، ثم فتحها، فوجد فيها ورقة جديدة... لم تكن موجودة من قبل.

"إذا بكيت... احذر أن تُوقف البكاء.
فدمعتك باب، لا تغلقه".

مشهد جانبي – مريم والمئذنة: "صوت من زمن النساء"

كانت مريم في الطابق العلوي من بيتها في القدس القديمة،
تغسل يديها بعد أن سقت الزرع، حين سمعت صوتًا غير مألوف...

كان الصوت يأتي من **مئذنة قريبة**، لا تؤذّن، بل تُهدهد،
كأنّها تروي حكاية لا تُقال إلا مرة في كل قرن.

اقتربت من النافذة، فأبصرت امرأة عجوز، بثياب مطرّزة قديمة،
تجلس على مقعد خشبي أمام المئذنة،
وفي حجرها كتاب قديم، لا يُفتح إلا بلمسة ناعمة، مثل قلب يعرف الحنين.

نزلت مريم، وتقدمت نحوها ببطء.

قالت المرأة:

" –عرفتُ أنكِ ستأتين. كلنا نأتي عندما تنادي المئذنة".

جلست مريم قربها، وهمست:

" –من أنتِ؟"

قالت العجوز:

" –أنا من نساء الظل... نحن لا نُذكر في الكتب،
لكننا نحمل المفاتيح في خرزنا،
ونحفظ الحكايات في تطريز صدورنا".

ثم أخرجت قطعة قماش خضراء، مطرزة بخيوط ذهبية،
وسلّمتها إلى مريم.

قالت:

" –هذه لامرأة اسمها رملة... كانت من نساء القدس في عهد الفاتحين.
كانت تكتب على الحرير، لا الورق.

تدوّن رؤاها في خيوط خضراء.
وقالت في أحدها:

)سيأتي يوم تمشي فيه القدس في قلب فتاة،
لا تخاف من الدمع، ولا تهاب الكتابة(.
وأنتِ... رائحة خطاكِ تشبه رائحة خطواتها".

دمعت عينا مريم.

قالت:

" –لكنني لا أعرف ما أفعل بكل هذه الرموز... أشعر بالضياع أحيانًا".

ابتسمت العجوز:

" –كل الكاتبات الحقيقيات يشعرن بالضياع...
لكنّ الكلمات تعرف الطريق، حتى إن ضللنا نحن".

ثم نهضت، وقبل أن تغيب بين الأزقة، قالت:

" –اقرئي المطرزات...
فأحيانًا، التاريخ يُحاك بالخيط، لا بالحبر".

عادت مريم إلى البيت، نشرت القماشة على الأرض،
وبدأت تقرأها كما تقرأ كتبها القديمة...

واكتشفت أن كل وردة مطرزة، تخفي تحتها **رمزًا**،
وكل رمز، يشير إلى **مكان في المدينة**.

وفي قلب المطرزة... كانت وردة سوداء واحدة.

تحتها كُتبت بخيط غير مرئي إلا تحت نور الشموع:

"تحت هذه الوردة، دُفنت أول صرخة.
من يجدها... يُسمع العالم أن القدس ليست قصة، بل قلب نابض".

مشهد جانبي – زهراء وظلال النار: "ليلى بنت الساحل"

كانت زهراء تمشي بين أطلال مدرسةٍ قصفت منذ أعوام،
الريح تعبث بحجابها، وغبار الحرب يحاول أن يدخل في عينيها،
لكنها لا تبكي.
هي تعلّمت أن الدموع تُشرب، لا تُسكب.

وقفت قرب جدار نصف مهدوم،
وأخرجت دفتر ساجي، قلبته...
وفجأة، انفتحت صفحة لم تكن تعلم بوجودها.

في الصفحة: رسم قديم لوجه امرأة، عيناها مثل شاطئ مكسور،
وتحتها: خريطة صغيرة، تؤدي إلى زقاق في حيّ الشجاعية.

قررت أن تذهب، وفي المساء، وصلت هناك.

في الزاوية، وجدت **امرأة مسنّة**، تبيع بضع بقوليات في أكياس صغيرة،
لكن عيناها كانتا أكثر امتلاءً من كلّ ما تبيعه.

قالت المرأة دون أن تنظر:

" –أهلاً يا زهراء".

شهقت زهراء: "كيف عرفتِ اسمي؟"

ابتسمت العجوز:

" –أنا من نسل ليلى بنت الساحل...
تلك التي كتبت الحكاية الأولى قبل أن يأتي البحر".

جلست زهراء قربها على الأرض،
فقالت العجوز:

" –ليلى كانت تحبّ شابًا من قرية مجاورة،
لكن الحرب فرّقتهما...
فكتبت له على الجدران، كل يوم جملة،
ثم أحرقتها في الليل... كي لا يقرأها أحد، لكن يشمّها الله".

سكتت لحظة، ثم قالت:

" –زهراء... أنتِ كتبتِ كثيرًا، لكن لم تحرقي شيئًا بعد".

سألت زهراء:

" –وماذا يعني أن أحرق شيئًا؟"

أجابت العجوز:

" –يعني أن تكتبي نصًا لا لأجل أحد...
بل لأجل أن يبقى في الهواء.
هذه هي النار التي تحفظنا".

ثم مدت يدها، وأعطتها ورقة رقيقة فيها كلمات مطبوعة بحبر شفاف:

"كلّ من فقد شيئًا في الحرب...
هو جزء منّي.

لأنني غزة،
لا أُكتب... بل أُعاد كتابتي بعد كل قصف".

ثم همست:

" –ليلى كتبتها... وأنتِ ستكملينها".

في تلك الليلة، جلست زهراء على سطح بيتها المتهالك،
كتبت نصًا لم تُرد لأحد أن يقرأه،
أشعلت شمعة، وبدأت تقرأه بصوتٍ خافت،
ثم تركته يُحرق رويدًا... رويدًا.

ورأت الدخان يتصاعد في شكل وردة،
وحين عبر الدخان فوق غزة،
أحسّت أن شيئًا ما... تغيّر.

✨الفصل العاشر: المدينة التي تمشي – حين تتحرك القدس في قلب الناس

"لا تمشِ نحو القدس،
دعها تمشي فيك".
–من أقوال نساء الظل

رموز المطرزة

كانت مريم تجلس قرب المصباح الخافت،
تنشر المطرزة الخضراء أمامها كأنها خريطة كنز قديم.
كل وردة فيها، كل خيط، كل التفاف في النسيج... يحمل دلالة.

وبعد ساعات من التدقيق، اكتشفت شيئًا:

–خمس وردات تشير إلى أبواب القدس القديمة.
–وردة حمراء وسطها، ترمز لقبة الصخرة.
–والوردة السوداء... لا موقع لها في الهندسة، بل هي **في القلب.**

همست مريم:

" –الوردة السوداء ليست مكانًا... إنها شخص".
ونظرت إلى صورتها المنعكسة على الزجاج، كأنها فهمت.

–صوت من القماشة

بينما تنظر للمطرزة، سُمِع صوت خافت في الغرفة.
لم يكن صوتًا مسموعًا بالأذن، بل بالقلب.

"لا تظني أنكِ وحدكِ،
نحن نُخيط في الظلال،
ليتمكّن النور من السير".

كانت نساء الماضي يخاطبنها.

أمسكت القماشة بقوة، ورفعتها نحو الضوء،
فرأت كلمة واحدة مكتوبة بخيط غير مرئي إلا بالنار:

"اجتمعوا تحت القبة... قبل أن ينطفئ الحبر".

–ثلاثتهم يجتمعون

في نفس الليلة، اجتمع الثلاثة :**مريم، نائل، زهراء،**
جلسوا في غرفة صغيرة في زاوية من البلدة القديمة،
وفي المنتصف: المطرزة، العلبة الحديدية، دفتر ساجي، وورقة محترقة جزئيًا.

قال نائل:

" –أنا لا أفهم كل هذا... لكني أشعر أنني أعرف النهاية".
قالت زهراء:

" –كلما كتبت، شعرت أن هناك من يكتب معي، من زمن آخر".
قالت مريم:

" –نحن لا نصنع هذه القصة، نحن نُكملها".

ثم قررت مريم:

" –يجب أن نذهب إلى حيث تشير المطرزة... تحت قبة الصخرة".

–الطريق إلى القبة

في فجر اليوم التالي، تسلّلوا نحو المسجد الأقصى،
كل حجر في الطريق كان يحكي، كل شجرة كانت تهمس.
دخلوا بصمت، مشوا عبر الأروقة القديمة،
حتى وقفوا تحت القبة، حيث كانت كل الطرق تشير.

هناك... في الزاوية الشرقية،
رفع نائل حجراً صغيراً،
فوجدوا تحته صندوقًا من النحاس،
غطّاه الزمن، لكن لم يلتهمه.

فتحوا الصندوق... وخرج منه **ضوء خافت،**
ومعه لفافة صغيرة من الجلد، مكتوب عليها:

"إلى الذين وُلدوا من رماد المدن،
أنتم لا تحملون الحكاية فقط،
بل أنتم حروفها".

–القدس تمشي

منذ تلك الليلة، تغيّر شيء في المدينة.

–وجوه الناس بدأت تتغيّر.
–الأطفال بدأوا يسألون عن "زهراء ومريم ونائل."
–الجدران امتلأت برسومات لزهور سوداء ودفاتر مفتوحة.
–شيخٌ في حي سلوان أقسم أنه رأى صلاح الدين يبتسم في منامه.
–وفتاة في حي الشيخ جراح كتبت على الحائط:

"القدس تمشي الآن فينا، فهل نمشي نحن نحوها؟"

مريم عادت تكتب.
زهراء بدأت تنشر نصوصها التي كانت تخفيها.
ونائل... صار يحمل دفتره في العلن، يكتب ويرسم، ولا يخاف أن يحلم.

نهاية الفصل العاشر

في النهاية، لم يُفتح باب جديد، بل فُتح **القلب**.
فهم الجميع أن القدس لا تُحرر بالسيف وحده،
بل بالصوت، والدمع، والكتابة...
والإيمان بأنك **جزء من مدينة تمشي فيك**، حتى إن ضعت في الطريق.

الفصل الحادي عشر: المطر الذي لا يُرى – عندما تبكي الحجارة

"لا تنتظر أن ترى المطر...
أحيانًا، كل ما عليك فعله أن تمد يدك".
–من أوراق ساجي

–أوراق تتحرك

في صباحٍ رمادي، استيقظ نائل على صوت ورقة تسقط من دفتره.
أمسكها، فوجدها لم تكن مكتوبة بخطه، بل بخط قديم،
بني اللون، ومرتجف الحروف كأنه كُتب تحت النار.

"إياك أن تظن أن ما وجدتموه لكم وحدكم.
نحن حفرنا الحروف في زمن الخوف،
لنقرأها في زمن الأمل".

وبجانب الورقة... خريطة جديدة،
لا تشير لمكان في القدس هذه المرة،
بل إلى **جنوب المدينة... غزة**.

–زهراء والنداء

في تلك الليلة، حلمت زهراء بأنها تسير في نفق مظلم،
حاملة شمعة صغيرة،
وكلما تقدمت، سمعت صوت بكاء خافت، لا تعرف مصدره.

حتى وصلت إلى **جدار حجري**،
منه تنبعث قطرات ماء...
ولكن عندما مدّت يدها، لم تشعر بالرطوبة،
بل بحرارة... كأن الجدار **يبكي نارًا**.

ثم سمعت الصوت:

"كل دمعة لم تُرَ... تتحوّل إلى حجر.
وإن بكت الحجارة، اقترب الوعد".

استيقظت، على رائحة رماد،
ووجدت بقايا ورقة محترقة على سطح بيتها،
نفس الخط القديم:

"اذهبي إلى حيث تبكي الحجارة...
هناك، أول الصرخات... وآخر الأسرار".

–البوابة تحت الأرض

اجتمع الثلاثة مجددًا: مريم، نائل، زهراء.

جلسوا عند شجرة زيتون معمرة في حي الثوري،
وكان في أيديهم كل شيء:
–المطرزة
–دفتر ساجي
–الخرائط القديمة
–ودفتر نائل الذي بدأت أوراقه تتغير كل ليلة

قالت مريم:

" –الخريطة تشير إلى منطقة مهجورة جنوب المسجد، كانت تستخدم قديمًا كمستودع ماء".

نائل قال:

" –لكنها مغلقة منذ الانتفاضة الثانية".

زهراء كانت تحدق في الحجارة:

" –أشعر أن المكان نفسه ينتظر... أن يُلمس".

في الليل، تسلّلوا إلى الموقع،
ومع ضوء خافت، وجدوا حجرًا منقوشًا بوردة سوداء،
حركوه... فانفتح مدخلٌ ضيق تحت الأرض.

كان مغطى بالتراب... لكنه يتنفس.
كأن الحجارة هناك تنتظر... أن تبكي.

–المدينة الثانية تحت المدينة

نزلوا.

وجدوا ممرًا ضيقًا، ثم قاعة صغيرة، محفورة منذ قرون،
في جدرانها نقوش لعشرات الأسماء، كلها لنساء ورجال...
تحت كل اسم: جملة واحدة، كأنها وصيّة.

"أنا ريم بنت السور، كتبت يوم دُفنت أمي في الحرم".
"أنا أوس، رسمت هذا الخيط وأنا أسمع طبول صلاح الدين".
"أنا يوسف، كتبت بدمي لأني لم أملك قلمًا".

وفي المنتصف ...**مذبح حجري صغير**،
وعليه **دفتر أسود مغلق بسلسلة**.

فجأة...
سُمِع صوت هادئ، غير مرئي:

"إن فتحتم هذا... لا تعودوا كما كنتم".

نائل نظر إليهما،
وقال:

" –أنا... لا أريد أن أعود كما كنت".

مريم وزهراء تبادلا النظرات،
ثم معًا، فكّوا السلسلة.

–الدفتر الأسود

عندما فُتح، خرجت رائحة قديمة، كأنها من معركة.

الصفحة الأولى كُتب فيها:

"هذا دفتر من لم تُروَ حكاياتهم.
نحن من كَتبنا بالخفاء...
لكي لا تُنسى الحقيقة".

وفي الصفحات:
قصائد بلا أسماء
خرائط لنقاط المواجهات
رسائل من أمهات أبناؤهن لم يعودوا
رموز لا تُفهم الآن... لكنها تُشعر بالخوف.

نهاية الفصل الحادي عشر

في الخارج... بدأ المطر.

لكن لا أحد رآه،
كان مطرًا **لا يُرى، لكنه يُشعَر به**...
ينزل فقط على الحجارة القديمة،
وكلما نزل، خرج بخار خفيف،
كأن الحجارة ...**تبكي.**

زهراء قالت:

" –الدفتر ليس هدفنا... بل هو الدليل".

مريم قالت:

" –الحكاية لم تبدأ بعد".

نائل ابتسم:

" –لكننا مستعدون".

الفصل الثاني عشر: الذين لا يموتون – صوت الأحياء من زمن الغياب

"لا تبحث عنّا في القبور...
نحن نمشي بجانبك حين تظن أنك وحدك".
–من شظايا دفتر الأسود

–عودة الصوت الأول

في تلك الليلة، بعد أن عادوا من المدينة السفلى،
وضعوا الدفتر الأسود على الطاولة الخشبية القديمة في بيت مريم.

وفجأة، بدأت الصفحات تُقلب وحدها...
صفحةً تلو الأخرى،
حتى توقفت على صفحةٍ خالية إلا من نقطة سوداء في منتصفها.

وظهر الصوت...
لكن ليس في الغرفة، بل في داخلهم.

"أنا ساجي... لا تبحثوا عني في الدفن،
أنا الحرف الذي لم يُكتب،
والصوت الذي انتظر أن يُنادى".

ارتجفت يد نائل.
أغمض عينيه، ورأى وجه ساجي،
ليس شبحًا، بل **ذكرى حية تمشي في الزمن.**

– زهراء ونساء الظل

في ليل غزة المعتم،
جلست زهراء على سطح منزلها،
وبيدها ورقة محترقة من الدفتر الأسود،
وفي قلبها، شعور أن ثمة عيون تراقبها بحنو.

ثم سمعتهن.

"نحن نساء الظل...
كل واحدة فينا، كتبت سطرًا ثم اختبأت".

ظهرت إحداهن في خيال زهراء:
امرأة بثوب فلاحي ممزق،
في عينيها وجع عشر نكبات... وقوة لا تشيخ.

قالت:

" –يا زهراء...
كلما كتبنا، مات جزء من الخوف.
والآن، دورك أن تكتبي **ما بعد الخوف**".

عندها، شعرت زهراء بشيء يُكتب وحده على كفها:

"الذين لا يموتون...
هم من كتبوا ولم يُنتظر تصفيق لهم".

–مريم ووجهٌ من الجدار

في البلدة القديمة،
خرجت مريم وحدها لتتأمل جدران المدينة.
وكان الليل هادئًا، والريح تسرد شيئًا غير مفهوم.

فجأة، على جدار مهدم في حارة النصارى،
ظهر نقشٌ لم تره من قبل :**امرأة مغطاة الوجه، تحمل قنديلًا.**

اقتربت.

وسمعت همسًا:

"أنا من كتبت المطرزة الأولى،
كنت أهرب الخيوط في تنور الطين،
وكل غرزة كانت اسمًا لطفل لم يولد بعد".

قالت مريم بصوت مرتجف:

" –هل أنتِ من بدأت هذا؟"

أجاب الصوت:

"لا أحد يبدأ وحده...
كلنا خيوط في ثوب المدينة".

–نائل والطفل الذي لا يكبر

بينما كان نائل يراجع دفاتره،
رسم وجهًا لا يعرفه...
لكن عينيه ذكّرتاه بأخيه الذي استشهد صغيرًا.

وفجأة، سمع ضحكة طفولية،
وظهر أمامه **طفل بعمر العشر سنوات**، يحمل بيده قلمًا صغيرًا.

قال الطفل:

" –أنا من كتب الصفحة البيضاء في دفترك،
كلما تركت صفحة فارغة... كنت أكتب فيها سرًا".

نائل سأله:

" –من أنت؟"

أجاب الطفل:

"أنا كل من مات صغيرًا،
لكن حلم أن يكبر.
فاكتب عنّا... لنبقى".

–النداء الأخير

في اليوم التالي، عاد الثلاثة واجتمعوا.

في الغرفة القديمة، أحاطت بهم رموز الماضي:
الدفتر الأسود، المطرزة، الورقة المحروقة، وشظايا القلم.

قالت مريم:

" –لقد عادوا كلهم...
بطرقهم، وأسمائهم، وأوجاعهم".
قال نائل:

" –لكن لماذا الآن؟"
قالت زهراء:

" –لأن القدس على وشك أن تُروى كاملة".

فتح نائل دفتره،
وفي أول صفحة، كتب:

"نحن لم نعد ثلاثة.
نحن ألف...
نحمل أصوات الذين لم يموتوا".

نهاية الفصل الثاني عشر

في تلك الليلة،
سمع أهل المدينة أصواتًا لا يعرفون مصدرها...
ضحكات، بكاء، حكايات، نداءات أطفال...
لكن لا أحد كان يرى أحدًا.

المدينة... كانت تتحدث.

وفي كل زاوية، كُتبت على الجدران عبارة:

"إذا مشيتَ وحدك... تذكّر أن وراءك من لا يموت".

الفصل الثالث عشر: العبور – البوابة التي لا تُفتح إلا لمن فقد شيئًا

"لكل مدينة بوابة،
أما القدس، فبواباتها أرواح".
–من وصايا الدفتر الأسود

–خريطة تتغير

ذات مساء، حين كانت مريم تحدّق في المطرزة،
لاحظت أن بعض الخيوط قد تغير لونها!
وكأن الحرارة أو الضوء أحياها.

لكن ما تغيّر ليس الألوان فقط...
بل **اتجاه الخيوط نفسها**.

كل وردة تشير الآن إلى جهة مختلفة،
وفي المنتصف، بدلاً من القبة،
ظهرت **علامة دائرة مفتوحة من طرف واحد**.

سألت مريم نفسها:

" –هل المطرزة تغيّرت... أم نحن؟"

–نداء البوابة

في دفتر نائل، ظهرت رسالة قصيرة كتبت بخط غريب:

"من فقد اسمه... يدخل.
من ترك صوته... يعبر.
ومن احتفظ بقلبه، فليقدّم شيئًا مقابل الطريق".

نائل قرأها بصوتٍ متهدج:

" –هل يريدوننا أن... نترك شيئًا منّا؟"

زهراء أجابت بهدوء:

" –ربما لا يمكن دخول البوابة إلا فارغين".

–البوابة بين الأزمنة

قادهم الرمز في المطرزة والدفتر إلى مكان لم يُذكَر من قبل...
ساحة خلفية قديمة بين أزقة حي الأرمن،
جدار متهدم عليه نقشٌ شبه مطموس لعينٍ مفتوحة.

وكلما اقتربوا...
أحسوا أن **الهواء يبطئ، والوقت يتثاقل.**

قالت زهراء:

" –هذا ليس مكانًا... إنه زمن منسي".
قال نائل:

" –كأننا نمشي بين لحظتين لم تُكتبا".
قالت مريم:

" –كأن البوابة... تبحث عنّا".

عند الجدار، ظهرت دائرة من الضوء الخافت،
كأنها تنادي.

–القرابين الثلاثة

قبل أن تفتح، ظهر على الجدار نقشٌ جديد، كُتب أمام أعينهم:

"لا يدخل إلا من قدّم شيئًا مما فقد".

نظر الثلاثة إلى بعضهم.

مريم أخرجت المطرزة،
وقطعت منها خيطًا أخضر... دمعت عيناها:

" –هذا خيط أمّي... سأتركه هنا".
نائل مزّق أول صفحة كتبها في حياته عن القدس:

" –هذا صوتي الأول... أودعه هنا".
زهراء أخرجت من جيبها صورة لأخيها الذي فُقد في الحرب،
نظرت إليها، قبّلتها، ثم وضعتها في ثنية الجدار:

" –هو لم يعد... لكن صوته بي باقٍ".

لحظة صمت...
ثم انفجرت الدائرة ضوءًا، وسُمِع الصوت:

"العبور بدأ".

– ما وراء البوابة

عبر الثلاثة البوابة،
فلم يجدوا أنفسهم في مكان، بل في **لحظة**.

كانت القدس كما لم تُرَ من قبل:
–الأزمنة كلها تتداخل.
–ترى طفلاً يركض وخلفه ظل محاربٍ من زمن الفتح.
–ترى امرأة تبكي تحت قبة الصخرة، ويظهر خلفها ساجي يبتسم.
–ترى مقاتلين من كل العصور، يمرّون دون أن يصطدموا، وكأنهم **نهر واحد.**

في هذا الزمن الغريب،
كل من نُسي، يظهر.
كل من لم يُكتب، يروي قصته.

وكل شخص يقترب من الثلاثة،
يمسهم، ثم يختفي...
ويترك في قلوبهم **حرفًا جديدًا، لا في اللغة... بل في الذاكرة.**

نهاية الفصل الثالث عشر

خرجوا من البوابة بعد ما بدا كدهر،
لكن حين نظروا إلى ساعاتهم...
لم تمر سوى **ثلاث دقائق.**

مريم قالت:

" –رأيت أمي تمشي مع نساءٍ لا أعرفهن، كلهن يحملن كتبًا على ظهورهن".

زهراء قالت:

" –شعرت أن أخي هناك... لم يتكلم، لكن عينيه قالتا كل شيء".

نائل همس:

" –القدس التي دخلناها... ليست التي نراها.
إنها التي نحملها دون أن نعلم".

وفي يده، وجد ورقة لم تكن في دفاتره من قبل، كُتب فيها:

"الآن... تبدأ الحكاية الحقيقية".

الفصل الرابع عشر :أصوات من الغبار – حين تكتب الأنقاض ما عجز عنه الناس

"كل أنقاض تحوي كتابًا لم يُقرأ بعد.
وكل صمتٍ في القدس... صوتٌ ينتظر أن يُستخرج".
–من دفتر الذين لا يُرى خطّهم

–صوتٌ لا يريد أن يُسمع

بعد عودتهم من "العبور"،
لاحظت مريم أن أحد خيوط المطرزة بدأ **يختفي تدريجيًا**.
كأنه يُمحى من النسيج، كما يُمحى حرف من كتاب.

في الوقت نفسه، حاول نائل قراءة الورقة التي ظهرت بعد البوابة...
لكن الحروف بدأت تتلاشى من أمام عينيه!

قالت زهراء:

" –كأن أحدًا... لا يريدنا أن نتذكر".

لم يكن شكًا... بل حقيقة.

ذلك المساء، أُحرق منزل قديم في حي وادي الجوز،
وهو نفس المنزل الذي كانت فيه صورة قديمة لنساء الظل.
الصورة... احترقت.

" –الذين يحرسون النسيان"

بدأ الثلاثة يلاحظون وجوهًا مألوفة...
–رجال يقفون عند الزوايا كلما اقتربوا من أماكن الذكرى
–هواتف تُغلق عند حديثهم
–أحدهم دخل بيت زهراء في غيابها... وأخذ شيئًا

ذات يوم، وجدت مريم رسالة صغيرة على باب منزلها:

"ما تُحاولونه خطر.
الحكايات لا تُحيا دائمًا... بعضها يُدفن لسبب".

وقعها:
"حرّاس الصمت"

–رسائل من الغبار

رغم التهديد، قرر الثلاثة الاستمرار.
ذهبوا إلى مكتبة عتيقة تحت سور القدس،
بحثًا عن نسخة من "سِفر المطرزة" – كتاب قديم لم يُنشر قط.

لكن بدلًا من الكتاب، وجدوا **صندوقًا من الغبار**،
وعندما نفخوا عليه، ظهرت داخله أوراق متآكلة،
كأنها نُزعت من كتب دُفنت عمدًا.

فيها:
–رسالة من فتاة قتلت في مجزرة، تروي كيف كانت تحلم بالخياطة.
–اعتراف محارب نسي اسمه، وترك فقط وصف جرحه.
–قصة شاب كان ينقش على الحجارة خوفًا من نسيان وجه أمه.

–مريم تكتب أولى الكلمات

في ليلة عاصفة، جلست مريم وحدها،
وكتبت على أول صفحة فارغة في دفترها:

"أنا مريم، حفيدة الخيط،
رأيت من حاولوا حياكة الحكاية... ومن أرادوا أن يمزّقوها.
رأيت القدس تمشي وهي تنزف من الذاكرة، لا من الجرح".

وفي آخر الصفحة، وضعت خيطًا من المطرزة...
وغرزته داخل الورق.

–القرار: ننشر أم نحيا في الصمت؟

اجتمعوا في سطح منزل زهراء،
الريح قوية، والمدينة تحتهم كأنها خريطة حيّة.

قال نائل:

" –إذا نشرنا هذه الحكاية... سيلحقون بنا".
قالت زهراء:

" –وإذا لم ننشرها... فمن يبقي من ماتوا أحياء؟"
قالت مريم:

" –لن ننشر الحقيقة... بل سنحييها.

سندع كل حجر يروي... كل أنقاض تتكلم".

قرروا أن يجمعوا ما وُجد:
–الدفتر الأسود
–المطرزة
–رسائل الغبار
–وشهاداتهم هم

في كتابٍ واحد، عنوانه:

"من لم يُكتب... صار منّا".

نهاية الفصل الرابع عشر

لكن في لحظة نشرهم الأولى،
وفيما بدأ الناس بقراءة أجزاء من الكتاب عبر قصاصات،
ظهر مقطع صوتي على إذاعة غامضة، بصوت رجل مجهول يقول:

"من أحيا الحكاية... سيُمحى اسمه.
لكن اسمه... سيسكن في كل من قرأه".

في الصباح التالي، لم يكن هناك أثر لموقع النشر،
لكنه انتشر كما النار في الهشيم...
على جدران البلدة، في دفاتر الأطفال، في أغاني الحارات.

وصار يُعرف بين الناس باسم:

"الدفتر الذي لا يُمكن محوه".

الفصل الخامس عشر :حين تُضيء الظلال – العودة إلى الحكاية الأولى؟

"ليست العودة إلى القدس رحلة في الجغرافيا،
بل عودة إلى الأصل، إلى لحظة الخلق الأولى...
حين كانت الكلمات أوّل من سكن الحجارة".
–من دفتر الظل الأخير

–جدار لا يعكسك

في أحد الأزقة العميقة في حيّ الساهرة،
مرّت مريم بجدار لا يُشبه أي شيء رأته من قبل.
حين نظرت إليه ...**لم ترَ انعكاسها.**

رأت **طفلة أخرى، بثوب قديم، تحمل بين يديها حروفًا متساقطة.**

قالت الطفلة:

" –أنا أنتِ... قبل أن تُمحى القصص من العيون".

تراجعت مريم، لكن الطفلة ابتسمت وقالت:

"عندما تُضيء الظلال،
يظهر وجه القدس... كما هو".

–أصوات العائدين

في نفس الليلة، حلم نائل بكلمات لا تُفهم،
كأن لغاتًا عديدة تتداخل، لكنه فهمها بقلبه:

–رجل من زمن الفتح يوصيه بعدم التراجع
–فتاة من زمن النكسة تقول له: "اكتب، ولو في الهواء"
–طفل استُشهد في الانتفاضة، يقول: "صوتي حي، فلا تنكسر"

استيقظ نائل، فوجد كلماتٍ محفورة تحت طاولته:

"حين تسمع الأصوات من الظل...
اعلم أنك وصلت أول الطريق".

–المطرزة تتكلم

زهراء، التي ظنّت أن المطرزة مجرد خيوط...
لاحظت أنها كلما جلست وحدها في الظلام،
تبدأ الخيوط بالوميض الخافت، كأنها **نبضات قلب.**

وفي إحدى الليالي، سمعت جدّتها التي فقدتها في الحرب تقول:

" –كل غرزة في المطرزة... كانت دعاءً.

لم يمت من دُفن،
بل من نُسي اسمه".

بكت زهراء، وقبّلت المطرزة،
ثم غرست فيها خيطًا جديدًا... من ثوبها الشخصي.

–اللقاء الأخير... والبدء الحقيقي

التقى الثلاثة في غرفة غريبة في حيّ بيت حنينا،
لم يكن فيها شيء سوى **مرآة مغطاة بثوبٍ قديم**.

رفعوا الغطاء... فلم يروا أنفسهم،
بل رأوا **مقطعًا من الحكاية الأولى**:

–صلاح الدين يفتح القدس، وخلفه امرأة تحمل خريطة مطرزة
–خالد بن الوليد يقف على الأسوار، يضع في الأرض حرفًا
–أطفال من غزة يركضون فوق الزمن، يحملون أقلامًا
–وامرأة تشبه مريم تمامًا... تمشي في الأزقة، وتنثر الورق

قالت زهراء:

" –هذه ليست مرآة... هذه القدس كما نراها نحن".

قال نائل:

" –هي ليست حكاية نكتبها، بل حكاية **تكتبنا**".

نهاية الفصل الخامس عشر

وفي صباح اليوم التالي،
كانت الجدران كلها مكتوبٌ عليها بخيوط المطرزة...
رسائل غير مفهومة للعامة، لكنها مفهومة لكل من حمل القدس في قلبه.

ومعها، ظهر عنوان جديد:

"حين تُضيء الظلال، يولد الوطن من جديد".

إذًا... لنمضِ.

ها نحن نصل إلى الفصل الذي **لا يُكتب مرتين،**
الفصل الذي فيه لا تعود القصة ملكًا لكاتبها،
بل تنتزع نفسها من بين يديه،
وتقول له" :**إما أن تُتمّني... أو تفقدني".**

📖الفصل السادس عشر :ما قبل البداية – الفصل الذي لا يُكتب إلا مرّة واحدة؟

"بعض النهايات لا تُكتب... لأنها في الحقيقة بدايات متخفّية".
–من هوامش الدفتر الذي لم يُغلق

ـ الرسالة الأخيرة

في صباح ضبابي، استيقظ الثلاثة ليجدوا عند أبواب منازلهم شيئًا لم يتركه أحد... لكنه وُجد.

مريم :وجدت غرزة جديدة في المطرزة، لم تخِطها بيدها، على شكل مفتاح.
نائل :وجد في دفتَره ورقة مكتوبة بخط لم يعرفه، كتب فيها:

"إن كتبت، فاكتب بالدمع.
وإن نشرت، فانشر بالوجع.
وإن صمتّ... فليكن صمتك حكاية".

زهراء :وجدت عند وسادتها صورة لظلّ امرأة على سور القدس...
لكن حين قلبتها، لم يكن لها ظهر. فقط كلمة واحدة:

"**ابدئي**".

–الخيار الذي لا يُمكن الرجوع عنه

في غرفة قديمة أسفل المسجد الأقصى، دلّهم شيخ مقدسي مسنّ
كان قد التقاه نائل قبل أسابيع (الذي أخبره عن أول من بكى عند الأقصى).
قال لهم:

" –أنتم الآن أمام سؤال لا يُطرح على اللسان... بل على الروح.
هل تريدون أن تُعرفوا... أم أن تبقوا مجهولين، وتحفظوا الحكاية؟"

سألته مريم:

" –هل لا يمكن أن نكون الاثنين؟"

ابتسم الشيخ، وقال:

" –في القدس... كل شيء مزدوج إلا الحقيقة، فهي واحدة".

–الطريق ينقسم

في زقاق ضيق، وُجد جدار يحمل رسمًا لثلاث طرق:

1. طريق تمشي فيه وتترك أثرك... لكن تُلاحقك العيون.
2. طريق تختفي فيه... لكن تزرع الحكاية في الآخرين.
3. وطريق ثالث... لا يُرى، لكنه الطريق الذي يختارك.

وقف الثلاثة.

نائل قال:
" –سأختار الطريق الأول... سأكتب، مهما طاردوني".

مريم نظرت في المطرزة، ثم قالت:
" –سأختار الطريق الثاني... سأكون الخيط الذي لا يُرى، لكن يُمسك بالحكاية".

زهراء صمتت طويلًا، ثم قالت:
" –سأنتظر أن يختارني الطريق الثالث".

وللحظة... سمعوا الهمس:

"حين تختار القدسك، لا تعود تملكها... بل تملكك".

–النهاية التي تبدأ منها كل الحكايات

مرّت السنوات...

–نائل صار يُنشر له تحت اسم "الكاتب بلا وجه"،
كتبه تصل للأطفال والشيوخ، دون أن يعرفوا من هو.

–مريم تُدرّس التطريز في حيّ الشيخ جراح،
وتعطي كل طفلة مطرزة واحدة، تقول لها:
"هذه ليست خيطًا... بل سطر من كتابك".

–زهراء... لا أحد يعرف أين ذهبت.
لكن كل من زار القدس في الفجر،
قال إنه رأى ظلّ امرأة تُنزل حبال المطرزة من فوق سور المدينة،
وتربطها بشجرة زيتون.

وفي كل عقد، تظهر واحدة جديدة...
تحمل اسمًا قديمًا... وتحكي القصة نفسها، بشكلٍ آخر.

✨ الخاتمة:

"ليست هذه نهاية الحكاية.
بل هي فقط الصفحة التي نطويها لنبدأ الصفحة التي تُكتب بيد القارئ... لا الكاتب".

وعلى آخر صفحة من الدفتر، ظهرت جملة لم تُكتب بقلم:

"ومن لم يُكتب... صار منّا".

📖 الدفتر الثاني: الحكاية التي تبدأ من غزة

"لا نكتب الحكاية... نحن نعيشها، ونبنيها يومًا بعد يوم".
–من هوامش الدفتر المفقود

–تحت قصف الطائرات

في ظل صوت الطائرات التي تُحلق في السماء وتضرب الأرض تحتها، كانت آية تقف في المكان نفسه الذي **كتبت فيه أولى كلماتها** في دفترها الأسود.
لكن اليوم، لم يكن الأمر كما كان في السابق.

في تلك اللحظة، حين بدأ القصف يزداد شدة،
كانت أصوات الأطفال تأتي من بعيد.
أصواتهم لا تتوقف عن اللعب، لا لأنهم لا يشعرون بالخوف، بل لأنهم **يرفضون أن يتوقفوا**.

فيما كان محمود يتفقد الحي القديم، رأى الفتيات يركضن معًا نحو مكانٍ بعيد،
هنَّ لا يبحثن عن مأوى، بل عن قطعة من الزمان ضاعت في الحروب.

شرف كان يقف على **سطح منزله**، حيث كان ينظر إلى السماء،
كما فعل قبل سنوات، لكنه الآن كان يرى السماء **تحترق**.

في تلك اللحظة، أدرك أنه لا يمكن لأحد أن يُخفي ما يحدث في غزة عن العالم،
لكنهم في غزة، لا يكتفون بالانتظار؛ بل **يكتبون** ويثبتون أنهم **أحياء**.

– لحظة الخوف... ولحظة الأمل

"عندما يكون الصمت هو الصوت الوحيد الذي نسمعه،
عندما يختلط صرير الرياح مع أصوات الانفجارات،
أدركنا أن كل لحظة نعيشها، هي حرب جديدة ضد النسيان".

هذا ما كتبته آية في يومٍ من الأيام، عندما كانت الأرض ترتجف تحت أقدامهم.

وفي لحظة ما، بينما كانت الشوارع تشهد الدمار الشامل،
كان الجميع يجتمعون معًا في الزوايا **الآمنة** التي ربما لم تكن آمنة أصلًا.
في تلك اللحظة، توقف الزمن، وبدأت **ذكريات الماضي** تدق باب الحاضر.

لكن شرف كان يرى أن الخوف ليس ما يُبقي الناس أحياء، بل الأمل.
الأمل الذي كان في **أيديهم**، وهو ما سيتخطى كل قذيفة وكل مأساة.

" –نحن لا نعيش في غزة... نحن نصر على أن نبقى في غزة".
قالها شرف وهو ينظر إلى الأفق.

–الجدار الذي ينكسر والنار التي تشتعل

في تلك الليلة، كان القصف على أشده، وكان محمود قد جمع أسرته في غرفة صغيرة.
لكن في قلبه، كان يحسّ أن **شظايا التاريخ** قد اخترقت كل الحواجز.
فقد رأى في عيني شرف **نظرة لا تعرف الخوف**، رغم كل شيء حولهم من دمار.

في تلك اللحظة، بدا أن **غزة لا تنكسر**، ولا تنتهي.
كان محمود قد جلس بجانب شرف وقال له:

" –هل تعرف يا شرف... أنه حتى الجدران التي يُعتقد أنها ستظل قائمة، ستنهار عاجلًا أم آجلًا. أما الأمل، فهو الجدار الذي **لن ينهار أبدًا**".

وفي تلك اللحظة، شعر شرف وكأن الجدار الذي يواجهه قد بدأ ينكسر بالفعل...
لكن في داخله، كان يعلم أنه ليس جدارًا عاديًا، بل كان **جدارًا من الكلمات والأمل.**

كان عليه أن يكتب ما يراه، كما كان يكتب دائمًا،
لكن هذه المرة كان يكتب عن **مجزرة جديدة** لن تُنسى.

–الحجارة التي تُنبت أملًا

بينما كان محمود وشرف يقفون معًا على **السطح**،
كان صوت الطائرات يقترب أكثر.
لكن فجأة، شعر محمود بشيء غريب:
في اللحظة التي أظلم فيها السماء،
كانت **الأرض تنبت شجيرات صغيرة**، كأنها تتحدى الهدم والتدمير.

"انظر!" قال شرف بينما أشار إلى الأرض.

كانت الحجارة التي تكسرت نتيجة القصف قد **أنبتت بذورًا جديدة**.
كانت هناك **زهرات صغيرة** تنبت بين الحطام،
وفيها كانت **رمزية الأمل** التي لا تُبتر، مهما كانت الحروب شديدة.

قال محمود، وهو يبتسم في وجه شرف:

" –الأمل لا يكمن في الأشياء العظيمة، بل في الأشياء الصغيرة، مثل هذه الزهور".

–الإنسان لا يتوقف

مرت الأيام، واستمرت الحرب بلا هوادة،
لكن رغم القصف المستمر، كان هناك شيئًا ما لم يستطع العدو تحطيمه:
الإنسان نفسه.

شرف كان لا يزال يكتب.
آية كانت تدرس الأطفال كيف يمكنهم صنع مستقبل جديد، حتى لو كان في **الخراب**.
محمود كان يحاول أن يُذكر كل من حوله بأنهم جزء من **حكاية واحدة** لا يمكن أن تُمحى.

حكاية تبدأ من **الأمل**، ولا تنتهي أبدًا.

–الأمل الذي يستمر

وفي تلك اللحظة، شعر الجميع بأنهم في مرحلة **الانتظار**،
لكن ليس الانتظار الذي يُصيب الناس باليأس، بل **انتظار الظهور**،
ظهور الحقيقة، وظهور نهاية الاحتلال، وظهور العدالة.

كتب شرف في دفتره:

"نحن ننتظر الحقيقة، ليس لأنها ستغيرنا،
بل لأنها ستظل تبقينا أحياء في هذه الأرض التي لا تنكسر".

وفي تلك اللحظة، شعر شرف وآية ومحمود وكل من في غزة أنهم، رغم كل شيء،
لا يزالون يقاومون من أجل شيء أكبر من الحياة ذاتها.

الحكاية التي تبدأ من غزة

"كلما سقطت قذيفة، ارتفعت قامة الصمود".
–من هوامش الدفتر الذي لا يُغلق

–الليل الذي لا يُحس

في الليل، حيث **الظلام يلف المكان**، تزداد العتمة حول غزة، لكن شرف كان يعلم أن **الظلام** ليس سوى **وقت للانتظار**.
في هذا الزمن الذي صار يمتد بلا نهاية، كانت الآلام تتنقل من شارع لآخر، ومن حارة لحارة.
لكن وسط كل ذلك، كانت هناك دائمًا **نقطة ضوء**.
في الساحات الضيقة التي احتفظت بها غزة رغم القصف، كانوا يجتمعون، كما يفعل البشر في أوقات الفوضى.
لم يكن هناك الكثير من الأحاديث، كان الجميع يكتفي **بالصمت الذي يحمل أصداء الأسى**.

وبينما كانت أصوات الانفجارات تزداد قوة في الليل، كانت آية تشعر بيدها وهي **تكتب** على ورقة قديمة،
دون أن تشعر بأن يديها ترتجفان. كانت تكتب كلمات كانت تُشبه **صوت غزة**،
الذي لا يستطيع أن يُسكت مهما كانت الضغوط.

" –هنا حيث تصبح النجوم عبئًا على السماء،" كتبت،
"والمسافات تضيق بين قلوبنا، لكننا **نرفض** أن نختفي".

شرف كان يقف بجانبها، يراقب السماء، وكأن الزمان يعيد نفسه من جديد.
لقد مرَّ عليه الكثير من هذه الليالي، لكن هناك شيء مختلف اليوم، **شيء**

جديد.
كانت غزة في تلك اللحظة كما كانت دائمًا، **روحها لا تقهر**.
كانت الروح الفلسطينية التي تجدد نفسها رغم كل شيء.

"حتى وإن خفتت الأنوار، تبقى العيون مشرقة".
قال شرف، وهو يبتسم رغم الحزن في عينيه.

–الخوف الذي يلاحق الناس، لكنهم لا يهربون

في أحد الأحياء المجاورة، كان محمود يقف مع **أطفاله**،
وكان يتحدث معهم عن شيء كان يفكر فيه في تلك اللحظة.
"هل تعلمون ماذا يميزنا؟" قال وهو ينظر في أعينهم،
"نحن لا نهرب. لأن الخوف قد طاردنا منذ زمن طويل، ولن نجد مكانًا للهرب،
لكننا سنظل هنا، حيث نشعر بأن الأرض **تخصنا**".

وفي تلك اللحظة، شعر محمود بشيء يوشك على أن يغير كل شيء،
ذلك **الإحساس بالانتماء**، الذي يرفض أن يُقتلع من الأرض، مهما كانت الظروف.

بينما كان القصف يتسارع، شعر محمود وكأن العالم من حوله قد **توقف لحظة**،
وكان كالعصفور الذي يرفرف في السماء، رغم الرياح العاتية.
"لا شيء سيوقفنا. حتى الحروب التي لا تتوقف، لا تستطيع أن تقهرنا".

وهكذا استمرت الأيام، بلا تفريق بين الليل والنهار، بين الدماء والأمل.

–في الوقت الذي نتنفس فيه الأمل

حين بدأت الفجر يشق طريقه عبر السحب، ظهرت أولى خيوط الشمس على سماء غزة،
كما لو كانت الحياة تبدأ من جديد. رغم الآلام التي لم تفارق الناس، إلا أن هناك شيءٌ آخر
كان ينبت بين قلوبهم، ويمدهم بالقوة للمضي قدمًا.
هذه القوة لم تأتِ من الخارج، بل جاءت من **قوة الإرادة**، ومن إرث طويل من **الصمود**.

كانت آية لا تزال تجلس تحت شجرة زيتون قديمة، تكتب كلماتها الأخيرة عن غزة.
"كلما نظرنا إلى الأرض التي لا نملكها، نقول: هذه الأرض هي التي تحملنا، وهي التي ستظل حيّة بعدنا".

ثم أضافت، مع ابتسامة حانية:

"وكلما ارتفعت **أيدينا في السماء**، وتضرعنا، لم يكن دعاؤنا مجرد كلام، بل كان حكاية فمضت،
وكل كلمة فيها كانت بمثابة **مشعل** مضيء في قلب الظلام".

–النار التي لا تنطفئ

لكن في قلب الظلام، كانت النيران تشتعل في مكان آخر.
النيران التي لا تنطفئ، مثل الأرواح التي لا تموت.
في شارعٍ بعيد، كانت **الدموع تنهمر على وجوه النساء،**
لكنهن لم يتوقفن عن العمل. كنَّ يطبخن الطعام، ويعتنين بالأطفال،
ويزرعن **الحلم في الداخل.**

في تلك اللحظة، كان محمود يتأمل المدينة، وهو يهمس لنفسه:
"غزة لا تنكسر. هؤلاء الناس لا ينكسرون".

في الوقت الذي كان فيه القصف يدمر كل شيء، كان قلب غزة ينبض بحياة جديدة.
كان من حوله ينقلبون بين **الألم** و**الأمل**، يضحكون ويبكون في وقتٍ واحد،
لكنهم في كل لحظة كانوا **يتمسكون بالأرض** التي لا يمكن لأحد أن يُغرقها.

– الصمود الذي يعيد بناء غزة

أخيرًا، وصل القصف إلى أقرب نقطة إلى شرف، واندلعت النيران في الحي الذي كان يسكن فيه.
لكن في قلب الفوضى، عندما كانت الأصوات تتداخل، وعندما كان الحطام يملأ المكان،
وقف شرف مع عائلته وأصدقائه، وقال بصوتٍ لا يمكن أن يسمعه إلا أولئك الذين **أصبحوا جزءًا من الحكاية**:

"نعم، نحن في صراعٍ مرير، لكن ما يميزنا أننا لا **نكسر**.
كلما دمروا شيئًا، بنينا شيئًا آخر. لم نكن في يومٍ من الأيام **رهائن** للألم.
نحن من يكتب النهاية".

–الحكاية التي لا تنتهي

مرت الأيام، وفي زوايا غزة التي لا تُمحى،
استمروا في **إعادة بناء الأمل** .والدموع كانت تروي الحكايات، لكن الأيدي كانت تكتب فصولًا جديدة.
الفصول التي ربما ستظل تكتب حتى في **الأجيال القادمة**.

في النهاية، أصبحت غزة هي **الحكاية التي لا تموت**.
الحكاية التي تبدأ دائمًا من **الأمل**، وتنتهي عند **الحياة**.

ولكن النهاية، كما كان شرف دائمًا يقول، هي **ليس سوى بداية** جديدة.

📖 الدفتر الثاني: الحكاية التي تبدأ من غزة

"كما أن السماء لا تغطيها السحب دائمًا، ستظل الأرض تنتظر أن **نحررها**،
فالأمل في قلوبنا مثل الأفق الذي لا نهاية له".
–من هوامش الدفتر الذي لا ينتهي

–الفجر الذي يشق السماء

شرف كان يتأمل الفجر الذي بدأ يبزغ في سماء غزة،
كأنّ هناك أملًا ما قد استقر بين الضباب. رغم الدمار الذي كانت تراه عيناه في كل مكان،
إلا أن هناك شيئًا مختلفًا كان يحدث في قلبه.

كان القصف قد هدأ لبعض الوقت، لكنه **لم يتوقف**.
لكن الناس في غزة، حتى في وسط تلك الفوضى، كانوا لا يزالون **يصلحون ما يمكن إصلاحه**.

آية كانت تشارك في تنظيم حملات لإغاثة الأهالي. كانت تحاول أن تكون الصوت الذي يوصل إلى العالم
أن غزة ليست مجرد مكان يتعرض للقصف، بل هو **مكان للحياة**،
وللشجاعة التي لا تعرف حدودًا.
أطفال غزة كانوا يبدعون في رسم لوحات على جدران المنازل المدمرة،
رغم أن كل زاوية في غزة تشهد الجراح نفسها، إلا أن الأطفال كانوا يجدون طرقًا للتعبير عن أنفسهم.

في حيٍّ آخر، كانت النساء ينظفن ما تبقى من شوارعهن،
وهنَّ يزرعن الزهور بين الأنقاض، كأنهن يزرعن أملًا لا ينضب في الأرض التي تشهد الدمار.
محمود، الذي كان دائمًا في الحي مع شرف، شعر وكأن الزمن لا يمر في غزة،
لكن رغم ذلك، كان هناك دائمًا شيء ما يقاوم.

"كلما أغلقت الأبواب أمامنا، تجدنا نحن من **نفتحها** ".قال محمود وهو يقف بجانب شرف.

–الرسائل التي تكتب في الزمان والمكان

في تلك اللحظات التي كانت تتسارع فيها الأحداث، بدأ شرف في كتابة **رسائل** جديدة.
كانت رسائل تتحدث عن **الآن**، عن اللحظة التي يعيشها الجميع.
كتابات عن النضال، عن الألم، ولكن أيضًا عن الإصرار على البقاء.
حتى في قلب الخراب، كان هناك شيء متجذر في الأرض :**الحلم**.

"غزة لا تتوقف، نحن الذين نتوقف عنها".
هذه الكلمات التي كتبها شرف أصبحت جزءًا من حياة الناس.
كانت عيونهم تتوجه إلى السماء، لكن قلوبهم كانت ثابتة في الأرض.

كلما مرّ الوقت، كان محمود يدرك أكثر أن **الصمود لا يعني أن لا يتألم المرء**.
بل يعني أن **تظل قادراً على الحلم في أعماقك**، مهما كان العذاب الذي تحياه.

وكانت آية تشعر بذلك أيضًا.
كانت تكتب في دفترها الأسود كما لو أن الحروف هي **المخرج الوحيد** الذي يمكنها **التمسك به**.
أحيانًا كانت الكلمات تهرب منها، لكنها تعلم أن الكتابة هي **رسالتها** للبقية.
أنها تستطيع أن تترك بصمة، مهما كان الثمن.

–الحياة في ظل الخوف

في **الأنفاق** التي حفرها المقاومون في غزة، كان الصمت سيد الموقف.
لكن شرف وآية ومحمود كانوا يعرفون أن هذا الصمت هو صمت **الصمود،**
وليس صمت الخوف. كان ذلك الصمت الذي يعيد تشكيل الحياة،
ويصنع منها **قوةً جديدة** .حتى عندما كان الجميع يختبئ في **الملاجئ** أو في **الأماكن المدمرة،**
كانت **القلوب** لا تزال تتسع للأمل.

"ماذا يعني أن يظل العدو يهددنا؟ ماذا يعني أن نكون تحت القصف طوال الوقت؟"
سأل محمود وهو ينظر إلى شرف.

أجاب شرف، وهو يبتسم ابتسامة غريبة رغم الدموع التي كانت تتجمع في عينيه:
"يعني أننا لا نستطيع الهروب. يعني أننا على الأرض التي **نعرفها**".

وكانت آية تكتب في دفترها، تكتب عن شعور غير قابل للشرح.
"أن نعيش في غزة يعني أن نعيش في قلب **الحرية**"، كتبت.
"حتى إذا كانت الحرية تأتي عبر الألم، فهي تظل حرية".

– نظرة إلى المستقبل

في الأيام التي كانت تتبع بعضها البعض، بدأ الجميع في غزة يلاحظ شيئًا غير تقليدي:
رغم تدمير الطرق، إلا أن هناك **أرواحًا جديدة** بدأت تولد في الحارات والأزقة.
كانوا لا يبحثون عن الهروب، بل عن إعادة بناء المكان الذي تمزق.
وعلى الرغم من أن غزة كانت **تعيش الموت** بشكل يومي،
إلا أن هناك **حياةً جديدة** بدأت تنبت في القلوب والأماكن المهجورة.

شرف كان قد سأل نفسه أكثر من مرة: "متى سينتهي هذا؟"
لكنه في النهاية كان يدرك أن النهاية ليست في يد أحد،
بل في يد كل واحد منهم في غزة، وفي قلبهم، وفي صمودهم الذي لا يموت.

"من غيرنا سيعيد بناء ما هدمه الاحتلال؟"
قالت آية، وهي تنظر إلى مكان كان قد شهد قصفًا شديدًا،
"نحن من نُعمر المكان، حتى وإن كانت كل حجر في الأرض تدمّره الطائرات".

– الحرب التي لا تنتهي

في النهاية، كانت الحقيقة التي لا يمكن إخفاؤها :**الحرب لا تنتهي أبدًا**.
لكن غزة لم تكن تبحث عن نهاية الحرب، بل عن طريقة لتعييش داخل هذا الواقع المُعاش.
كانت غزة تُخبرهم في كل لحظة أنهم **لا يستسلمون،**
بل إن كل قذيفة وكل لحظة قصف كانت بمثابة **علامة أمل جديدة**.

وفي وسط هذا الصراع المستمر، الذي لا ينتهي،
كانت غزة لا تزال **تكتب،** لا لأنها يجب أن تكتب،
ولكن لأنهم **لا يعرفون كيف يتوقفون** عن العيش في ظل الفوضى،
كيف لا يستمرون في **إعادة البناء** مرةً بعد مرة،
وكيف لا يعيدون زرع الأمل في كل مكان، رغم الدمار.

هل كان الأمل سيظل حيًّا؟
هذا ما قرر الجميع في غزة أن يعرفوه، بالعيش في **اللحظة نفسها**.
الحرب لا تُنسيهم الحياة، بل تُعلمهم كيف **يستمرون في العيش.**

–حلم جديد ينبض في قلب غزة

مع كل يوم، كل لحظة، يصرخ الأطفال في غزة بأن **غزة حية،**
وأن كل من يدير ظهره لها سيكتشف أن هذه الأرض لا يُمكن أن تموت.
حتى وإن كانت الحروب تنتهي مؤقتًا، فإن **الأمل** سيظل يزرع بذوره في كل أرض،
وسيظل **الحرية** معيشة في كل قلب فلسطيني، وفي كل زاوية من **غزة،**
حتى وإن كانت الشمس **تغيب،** فإن الضوء لا يغيب أبدًا عنهم.

الدفتر الرابع – رؤية الصمود عبر الزمن: الأفق الذي لا يُغلق

"إلى متى سنبقى صامدين؟
إلى أن يمر الزمن ويذكرنا أننا **لن نكون مجرد صدى** في تاريخ مرّ.
بل ستكون الأرض التي نزرعها، وكل قلبٍ نبضه الأمل، هو **ما سيذكره التاريخ**".
–من هوامش الدفتر الذي لم يُغلق

– الزمن الذي لا يتوقف

مع كل يوم كان يمر، كان الزمن يبدو أكثر تعقيدًا. لكن في غزة، حيث دوي القذائف كان لا يزال يُسمع في بعض الأرجاء، كانت الحياة تستمر. كان الناس في غزة يقفون كأنهم حصون ضد الزمان نفسه، لا ينتظرون من أحد أن يعيدهم إلى الوراء، بل يواصلون الصمود ويخلقون **مستقبلهم بأنفسهم**.

في الأزقة الضيقة، كان الأطفال لا يزالون يركضون، بينما كانت النساء يزرعن الأرض بالزهور من جديد. وفي كل زاوية كانت تنبت **حكايات جديدة**، وحينما يسألهم أحدهم "متى ستنتهي هذه الحروب؟"، كانوا يجيبون ببساطة:
"إن الحروب تأتي وتذهب، لكننا هنا لن **نظل باقيين**".

وكان شرف وآية، بعد أن رأوا ما رأوه في غزة، **يستعدون لما هو قادم**.
محمود، الذي أمضى سنوات في القتال، قرر أن يستغل وقته في دعم الشباب.
"الحرب قد تكون جزءًا من تاريخنا، لكنها ليست **كل تاريخنا** .نحن من نكتب الحكاية".

– الفجر الذي لا يزال في الأفق

مرت سنوات، و**غزة** لم تكن مجرد نقطة على الخريطة.
أصبحت **رمزًا للصمود** .كانت الأرواح التي عاشت في هذا المكان، والتي تشبثت بالأمل رغم كل التحديات، هي **التي ستصنع المستقبل** .كانت الأرض تتنفس ببطء، كما أن الناس كانوا يتنفسون فيها، **يتنفسون الصمود**.

مع مرور الوقت، تغيرت غزة. كانت تقف بين ماضيها الذي يحمل جراحًا، ومستقبل قد يكون مليئًا بالأمل. لكن الجميع كان يعلم أن هذا المستقبل لا يمكن أن يُبنى في يوم وليلة، بل بحاجة إلى **جميع الجهود، والأيدِ المتشابكة** التي ستكمل المسير.

كانت **الشوارع المدمرة** تتحول تدريجيًا إلى **مساحات للزراعة والإبداع** . كانت الآفاق التي لم تُفتح بعد تبدأ في الظهور، والمشاريع التي بدأها الشباب في **التكنولوجيا** كانت تُحقق نتائج مدهشة. لكن رغم ذلك، لم تكن غزة قد خرجت تمامًا من دائرة الحرب؛ فكلما انفجر شيء في مكان ما، كانت غزة **تُجدد نفسها**.

–تعلّم الحروب

في هذه المدينة التي تتنفس الحرب والمقاومة، كان الناس يظنون أن التعلم قد يصبح مستحيلًا وسط كل ما يمرون به. لكن غزة تعلمت من حروبها، وكل **صمود** كان درسًا جديدًا. كانت كل لحظة تعلم، كل حجر يُركب على الأرض كان بمثابة **درس للحرية** .كان الناس يفهمون جيدًا أن الوقت **لا يتوقف،** وأنه حتى مع الألم، هناك درس يمكن أن يُعلمهم كيف يبنون **أرضًا جديدة**.

آية كانت تؤمن أن الأجيال القادمة لن **تدرك الحرب** بالطريقة نفسها التي فهمتها هي، ولكنهم سيحملون معها شيئًا آخر:
"سيحملون **الأمل** أكثر من الألم، وسيفهمون أن **الحياة تظل مستمرة** رغم أي شيء".

– الحياة بعد العاصفة

كان عادل، أحد الشباب الذين نشأوا في قلب غزة، يقف على جسر يتأمل البحر.
"كلما نظرنا إلى البحر، شعرنا أن المستقبل يأتي من هناك".
قال عادل، بينما كانت الأمواج تندفع نحو الشاطئ، كأنها تُعيد تشكيل ما دمرته الحروب.

كان كل فرد في غزة يشعر بشيء غير تقليدي.
كأن الأرض التي تحتهم تحمل **قوة غير محدودة،** وأن **السماء نفسها** تنظر إليهم بحنان وتفاؤل.
كانوا يفهمون أن الأرض تحتاج إلى **وقت،** ولكن ما يصنعه الناس في هذا الوقت سيكون **تاريخًا حقيقيًا،** وسيُبنى عليه **المستقبل**.

– الأسئلة التي تظل معلقة

رغم كل ما حدث، لم يكن السؤال الذي يشغل بال الجميع هو "متى ستنتهي هذه الحروب؟"
بل كان: "كيف سنعيش معًا في المستقبل؟"
كيف يمكنهم أن **يحتفظوا بالأمل**، وكيف يمكنهم أن يحافظوا على **ثقافة الحياة** التي بدأت تعود إلى غزة؟

كلما كان العالم ينظر إلى غزة، كان يرون فيها **الصمود**، لكن الناس هناك كانوا يرون فيها أكثر من ذلك.
"غزة هي المكان الذي يصر فيه الإنسان على أن يعيش، حتى لو كان المكان محاطًا بالدمار.
هذه الأرض هي التي تثبت لنا أن التاريخ **لا يصنعه إلا من يقرر أن يظل واقفًا**".
كان هذا ما يؤمن به شرف وآية، ومن ثم محمود وكل من يعيش في غزة.
كانت غزة **دروسًا حية** في **الحرية** والمقاومة، وفي **كيفية صنع المستقبل** من قلب كل كارثة.

–الأفق المفتوح

ومع مرور الزمن، كان الأفق أمام غزة **مفتوحًا**، لكن المفتوح ليس بمعنى السهولة.
كان المفتوح يعني **فرصًا جديدة**، لكن أيضًا **تحديات جديدة** .كانت غزة تُصنع من **الأمل والتحديات**،
ولن **تكتمل القصة** إلا بعد أن يُكتب **كل فصل جديد**.

غزة، التي بدأت كرمز للمقاومة، بدأت تُكتب الآن كرمز **لإعادة البناء**، ليس فقط على الأرض، بل في قلوب **أبنائها**، الذين لا يعرفون كيف يتوقفون عن **الحلم**.
لقد حان الوقت للحديث عن **غزة الجديدة**، التي لا تقتصر على **ما كان**، بل ما يمكن أن يكون،
و**الفرص** التي يمكن أن تنبثق منها رغم كل ما حدث.

– النهاية المفتوحة

ورغم أن النهاية لم تأتِ بعد، كانت غزة **تعلم الجميع** أنه مهما كانت الأيام **صعبة،**
متى تأتي النهاية، فهي لن تكون النهاية الفعلية.
فالأمل، في النهاية، لا يتوقف عند أي لحظة في الزمن، بل يظل يتجدد **مع كل قطرة دم،**
ومع كل بذرة تُزرع، ومع كل حلم لا يموت.

هل ستستمر غزة في إعادة البناء؟
هل ستظل الأجيال القادمة تحافظ على شعلة الأمل؟
هذا ما ستحدده الأيام القادمة، والتي ستظل **مفتوحة** على **الآفاق التي لا يمكن تحديدها** إلا بحب أهلها و**صمودهم**.

الخاتمة

غزة: الأمل الذي لا يغيب

على الرغم من التحديات التي مرت بها غزة على مر العصور، وعلى الرغم من أوجاعها وآلامها التي لا تنتهي، كانت ولا تزال **شامخة**، قصة تُكتب فصولها بدماء وأحلام. الأرض التي نشأت على أنقاض الحروب، تغذت من **صمود أبنائها** الذين آمنوا أن الحياة لا تقاس بما مضى، بل بما سيبقى ويُبنى. وفي تلك الأزقة الصغيرة التي تآلفت فيها أحلام الفلسطينيين وأوجاعهم، ظهر **الأمل** كزهرة تزرع وسط الخراب، تُنبت بذورها في قلوب المقاومين وتظل ثابتة على مر الأجيال.

تاريخ غزة، بآلامه وانتصاراته، لم يكن مجرد ذاكرة للماضي، بل كان حاضرًا يُشكل في كل لحظة. لقد شهدت غزة **إعادة البناء** ليس فقط للأرض، بل للأرواح التي لم تنكسر، للأحلام التي لم تتوقف. ولكن الأهم من ذلك، أن غزة علمتنا أن الأمل لا يأتي في وقت الفراغ، بل يُصنع مع كل خطوة نخطوها نحو المستقبل. إنها تعلمنا أن الحرب ليست النهاية، بل هي بداية صراع طويل من أجل **البقاء**، و**الحرية**، و**الكرامة**.

في قلب هذه المدينة التي لا تعرف التراجع، بدأ الأفق يتغير. كانت التحديات كبيرة، لكن الإرادة كانت أكبر. فالشباب، الذين حملوا في قلوبهم **أحلامًا جديدة**، بدأوا في تحويل الواقع القاسي إلى **فرص** تفتح الآفاق أمامهم. الحياة في غزة لم تكن مجرد بقاء على قيد الحياة، بل كانت **رؤية جديدة** نحو المستقبل. كانوا يعرفون أن النهاية ليست هنا، بل في الحقيقة، البداية الحقيقية هي في **القدرة على تخيل المستقبل**، والنضال من أجل أن يكون أفضل من الماضي.

وهكذا، تبقى **غزة رمزًا للصمود** الذي لا يموت، للمقاومة التي لا تُهزم، وللأمل الذي لا يُغلق. ويبقى كل فرد من أهلها يحمل في قلبه يقينًا راسخًا أن الأرض التي **صمدت** طويلاً ستظل دائمًا **موطنًا للحرية**، وأن **الشعب الذي قاوم** سيظل دائمًا يكتب **فصلًا جديدًا** من الأمل. النهاية المفتوحة التي رسمناها بين صفحات هذا الكتاب ليست نهاية فعليّة، بل هي دعوة للإيمان بأن **غزة** ستظل دائمًا **تكتب قصتها** بدمائها، بعزيمتها، وبإرادتها التي لا تقهر.

غزة لن تموت، غزة ستظل دائمًا على قيد الأمل.

ظلال القدس..
وسيف غزة

رواية عادل بنعيسي

من بين أنقاض الأزمنة، ومن رحم الحروب والأنين، تُولد الحكاية..

بين القدس التي حملت ظلال الأنبياء، وغزة التي شحذت سيف المقاومة، ننسج رواية تسافر بالقارئ عبر الزمن، لا لتروي تاريخًا فقط، بل لتوقظ الذاكرة، وتزرع بذور الأمل.

من أيام الصحابة وسيوفهم التي لامست أبواب القدس، إلى خطى صلاح الدين التي أعادت للأقصى هيبته، وحتى أصوات أطفال غزة في شوارعها المحاصرة اليوم. . . هذه الرواية تحكي عن أولئك الذين لم يكتبوا أسماءهم في كتب التاريخ، لكنهم نقشوها في وجدان الأرض.

إنها حكاية الذين لم يُهزموا، والذين رغم الحصار، ما زالوا يرفعون رؤوسهم في وجه العاصفة، ويؤمنون بأن فجرًا لا بد أن يولد من قلب الظلام.

> "ليست غزة فقط مدينة، بل مرآة الزمن الفلسطيني، وسيفه الذي لم ينكسر، وظلاله التي لا تزول."

رواية عن الخلود، عن الذين عبروا، والذين ما زالوا يقاتلون... وعن أرض لا تموت.

ليسيف غرة إلمد؛

بل، مرآةا الرمن الفلمطسفبق،
وسيفد الرّى؛ ومبباه لم تكسر
وظجاد للا بزول د.

4 577401 280547

الكاتب: عادل بنعيسي **تاريخ الإصدار: 13 أبريل 2025**